A1405.141
جامعة 08 ماي 1945 قالمة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار
12/142

الجمهـــورية الجزائـــرية الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945

– قالمة–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية — قسم التاريخ والآثار

التخصص: التاريخ العام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان:

المدارس التبشيرية في بلاد المشرق العربي في الفترة العثمانية - خلال القرن19م-

من إعداد الطالبتين:

ميمية مناصرية.

ريمة بـزازل.

تحت إشراف الأستاذة:

خميسة مدور

لجنة المناقشة:

الأستـــاذ	الرتبـــــــة	الصفـــــة	الجـــــامعـــة
بلقاسم مرزوقي	أستاذ مساعد –ب–	رئيسا	جامعة08ماي1945 قالمة
خميسة مدور	أستاذة مساعدة –ب–	مشرفا ومقررا	جامعة08ماي1945 قالمة
برمضان سعاد	أستاذة مساعدة –أ–	عضوا مناقشا	جامعة08ماي1945 قالمة

السنة الجامعية: 2012/2011

بسم الله الرحمن الرحيم

" وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ"

صدق الله العظيم

-شكر وتقدير-

يقول المثل: "من علمني حرفا صرت له عبدا"

لذا نتوجه بالشكر الجزيل والامتنان إلى أستاذتنا المشرفة الأستاذة القديرة الفاضلة: خميسة مدور التي يشرفنا أن نكتب اسمها على مذكرتنا.

كما نشكر جميع أساتذة قسم التاريخ والآثار ونخص بالذكر الأستاذة: برمضان سعاد، والأستاذ القدير **بلقاسم مرزوقي** على دعمه المتواصل لنا.

-الإهداء-

إلى أمنا الحبيبة الغالية الجزائر.

إلى الروح التي عانقت روحي إلى أبي العزيز الذي أرجو من الله تعالى أن يدخله رياض الجنة ويحشره مع الصالحين.

إلى نبع الحنان الذي لا ينضب إلى أمي الغالية.

وإلى كل أفراد عائلتي الكريمة فردا فردا دون أن أنسى أحبائي وكل من عرفني أهدي ثمرة جهدي هذا.

كما أهدي ثمرة هذا العمل إلى صديقاتي في الحياة العلمية: حياة، ريمة، غنية، أحلام.

وإلى كل من نسيهم قلمي ولم ينساهم قلبي.

-ميمية-

-الإهداء-

بداية أهدي ثمرة جهدي إلى والديا الكريمين، اللذين شجعاني على مواصلة الدرب.

إلى أغلى ما لدي في الوجود جميع أفراد عائلتي قرة عيني.

وإلى كل من عرفني من قريب أو بعيد.

-ريمة-

-ريمة-

المقدمـــة

المقدمة

يعتبر الحقد الصليبي والتأثير في عقيدة المسلمين وسلوكهم من البديهيات التي لا يتمارى فيها العارفون بأهل الكتاب إذ يود هؤلاء، لو يكفر كل مسلم، بل حتى يرتد عن دينه، فهي بغية يسعون لتحقيقها بشتى الطرق والأساليب.

لذلك كانوا دائما وأبدا وعلى مر التاريخ الإسلامي، لا يتركون وسيلة تخدم غرضهم هذا وإلا سلكوها، وإنه لمن أخطر وأشد الوسائل التي سلكها الغربيون للكيد من الأمة العربية والإسلامية على حد سواء التبشير؛ الذي هو الدعوة إلى النصرانية، ومحاولة دفع الناس إلى الدخول فيها بشتى الوسائل المشروعة، وغير المشروعة.

ولعل من أهم الوسائل التي استغلها المبشرون – أو بمصطلح أدق المنصرون– في العالم العربي والإسلامي وخاصة بلاد المشرق التي كانت تابعة للدولة العثمانية – خلال القرن 19م– التعليم الذي كان المجال الخصب لعمل هؤلاء، حيث يسمح لهم بتمرير مخططاتهم وتسيير نشاطاتهم عن طريق التغلغل في أوساط المجتمعات العربية والإسلامية، وبالتالي جذب مختلف شرائح المجتمع من أطفال – بنين وبنات– وكذلك الشباب وحتى النساء إليهم، وتنشئتهم التنشئة التي يرغبونها، فيشكلون بذلك قاعدة بشرية واسعة تخدم مصالحهم الاستعمارية فيما بعد، وهذا ما جعل المدارس التبشيرية تنتشر على نطاق واسع، وبشكل سريع في مختلف أنحاء بلاد المشرق العربي.

ومن هذا المنطلق ولأهمية التعليم في حياة كل مجتمع، فاخترنا موضوع المدارس التبشيرية في بلاد المشرق العربي، وذلك في الفترة العثمانية – خلال القرن 19م–، فالملاحظ هو قلة الدراسات التاريخية حول الموضوع، فبما أن المدارس التبشيرية هي إحدى وسائل نشر النصرانية، لذلك كان الحديث عنها أعم في المراجع، وهي حسب حدود بحثنا قليلة ولا تحتوي إلا على إشارات فقط، رغم أهميتها التاريخية وقيمتها الدينية.

ولهذا رغبنا أن نسهم بجهد متواضع في هذا المجال، مستفيدين من جهود من سبقونا، ومحاولين تركيز المعلومات وترتيبها بشكل علمي، يوضح خطورة هذا الموضوع، ويفضح وسائل وأساليب الغرب الصليبي الحاقد على العالم العربي والإسلامي، ويكشف عن حقيقة أغراض المدارس التبشيرية التي في ظاهرها نشر العلوم والمعارف، وتربية النشء، ونقل مبادئ الحضارة الغربية وأدواتها المتقدمة، في حين أن باطنها هو الحقد والتعصب الديني، ومحاولة تغريب المجتمعات في سائر البلاد الإسلامية.

وعلى هذا الأساس حاولنا طرح عدة استفسارات وتساؤلات، آملين أن تكون بداية للاهتمام والبحث في هذا الموضوع، الذي هو جزء هام من تاريخ الأمة العربية الإسلامية، إذ من بين التساؤلات التي تبادرت إلى أذهاننا حين شرعنا في القراءة الأولية للبحث:

- كيف كانت أوضاع بلاد المشرق العربي دينيا وثقافيا خلال القرن 19م؟
- ما هو مفهوم التبشير؟ وكيف تأسست المدارس التبشيرية في بلاد المشرق العربي؟
- كيف تعاملت الدولة العثمانية مع هذه المدارس وأين انتشرت؟
- ما هي الآثار المترتبة عن هذه المدارس في جميع الميادين؟

ومن هنا حاولنا تقسيم دراستنا بما يتوافق وفك هذه الإشكالية، وللإجابة على هذه التساؤلات، فوضعنا خطة حاولنا من خلالها هيكلة وتنظيم دراستنا، والإحاطة بجميع جوانبها، مما جعل موضوعنا يتألف من ثلاث فصول أساسية، فضلا عن المقدمة والمدخل والخاتمة، وبعض الملاحق، ففي المدخل تحدثنا عن الوضع العام في الدولة العثمانية دينيا وثقافيا، خاصة النظام التعليمي الذي كان مطبقا آنذاك فيها وفي سائر ولاياتها العربية خلال القرن 19م، وأهم ما تميزت به هذه الأوضاع هو ظهور ما يعرف بالنهضة أو اليقظة العربية، أما الفصل الأول الذي يعتبر تمهيدا للدراسة ففيه تطرقنا للحركة التبشيرية في بلاد المشرق العربي، معرفين التبشير بمعناه اللغوي والاصطلاحي، ثم انتقلنا إلى الحديث عن الجذور التاريخية لإرساليات التبشير الأجنبية في بلاد المشرق العربي، وأهم العوامل المساعدة على

انتشارها، وفي الفصل الثاني الذي خصصناه للمدارس التبشيرية فعرفناها، وأشرنا إلى نشأتها وجذورها التاريخية، ثم نظامها العام من حيث أدواتها ووسائلها، وأيضا الهدف من إقامة هذه المدارس، أما في الفصل الثالث والأخير فتناولنا فيه موقف الدولة العثمانية من نشاط المدارس التبشيرية، وفي المبحث الثاني نماذج من هذه المدارس، ثم خلصنا إلى آثارها المختلفة، السياسية، والاجتماعية، والثقافية، وأخيرا حوصلنا الموضوع بخاتمة تحوي عدة استنتاجات توصلنا إليها من خلال البحث والتحليل في المراجع المختلفة.

أما فيما يخص فترة الدراسة فهي النصف الثاني من القرن 19م، وذلك للنشاط الكبير لهذه المدارس خلالها، ولوضع الدولة العثمانية كذلك المهيأ لمثل هذه الأفكار ، مما سمح بانتشارها وتأثيرها على الأمة العربية والإسلامية.

وحتى تكون الدراسة جادة وعلمية كان لابد من اتباع منهج علمي، وهو متنوع بحسب المادة العلمية المتوفرة بين:

- منهج وصفي تحليلي استخدمناه في عرض وتحليل المادة العلمية، وتوزيعها وفقا للخطة المتبعة.
- منهج إحصائي اتبعناه في إحصاء عدد المدارس التبشيرية، وانتشارها عبر بلاد المشرق العربي، وإحصاء رواد هذه الأخيرة من الذكور والإناث، ركذا المدرسين العاملين فيها.
- منهج مقارن: استعملناه في مقارنة أوضاع بلاد المشرق العربي عموما والمجتمعات الإسلامية خصوصا بعد انتشار هذه المدارس، والدور الذي لعبته في تغيير دين وفكر المسلمين فيها.

وبعد رسم الخطوط العريضة، ووضع خطة أولية للبحث، بدأنا العمل في جمع كل ما له علاقة وصلة بالموضوع، حتى نتمكن من إعطاء صورة واضحة ومتكاملة عنه،

وبفضل الله تعالى تمكنا من جمع عدد معتبر من المراجع تباينت أهميتها حسب استخدامنا لها في البحث، ومن هذه الكتب نذكر كتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة الجزء الثاني لمؤلفه أكمل الدين إحسان أوغلي والذي أفادنا بمعلوماته المفصلة والشافية، خاصة في المدخل، والمبحث الثالث من الفصل الأول وكذلك المبحث الأول من الفصل الثالث، بالإضافة إلى كتاب يقظة العرب لمؤلفه جورج أنطونيوس وترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، وهو كتاب مفيد جدا بمحتواه من معلومات دقيقة، وتنظيم محكم، وقد اعتمدنا عليه بنسبة كبيرة في البحث بصفة عامة. وكتاب فاضل بيات الموسوم بدراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، حيث يعتبر من أهم المراجع الغنية بالإحصائيات والتفاصيل الدقيقة والموثقة، دون أن ننسى كتابين مهمين وهما أجنحة المكر الثلاث وخوافيها (التبشير- الاستشراق- الاستعمار) لمؤلفه عبد الرحمن حسن حنبكة، والذي اعتمدنا عليه كثيرا في المبحث الأول من الفصل الثاني، أما الكتاب الثاني فهو التبشير والاستعمار لمؤلفيه مصطفى خالدي وعمر فروخ، وهو كتاب قيم خدمنا في المبحث الثاني من الفصل الثاني، والمبحث الثالث من الفصل الثالث.

بالإضافة إلى بعض المراجع التي اعتمدنا عليها بدرجة أقل، منها كتاب علي بن إبراهيم الحمد النملة بعنوان: التنصير في المراجع العربية، وكتاب الزحف إلى مكة لمؤلفه عبد الودود شلبي، وكتاب المبشرون والمستشرقون لمؤلفه محمد البهي، وبعض الموسوعات منها الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي لصاحبها راغب السرجاني، ومجموعة من رسائل الماجستير أهمها التبشير في بلاد الشام، لصاحبها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الشهري، والتي أفادتنا كثيرا خاصة في المبحث الثالث من الفصل الأول، وبعض المواقع الإلكترونية، وهذا في محاولة لإثراء البحث.

أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتنا أثناء بحثنا في الموضوع محل الدراسة، فتتحصر في الصعوبات العلمية، والتي منها قلة المصادر والمراجع الخاصة بالموضوع،

وصعوبة الحصول عليها لقلة نسخها، وبعد أماكن تواجدها، أضف إلى هذا صعوبة التعامل مع المادة العلمية الموجودة في الكتب، خاصة وأن معظم الدارسين لهذا الموضوع انقسموا إلى قسمين، قسم منهم مؤيد لهذه المدارس ويعتبرها بمثابة قنوات لنقل الفكر الغربي، لاسيما وأنه مرتبط بالتطور والعصرنة التي يعرفها الغرب، في الوقت الذي يعيش فيه العرب والمسلمون تأخرا في جميع الميادين بسبب ارتباطهم بالخلافة العثمانية، وبالتالي كانت هذه المدارس من أهم أسباب اطلاع العرب والمسلمين على التطور الحاصل في هناك، وقيام ما يعرف بالفكر النهضوي العربي في بلاد المشرق، وقسم آخر منهم يعتبر هذه المدارس ما هي إلا شكل جديد من أشكال الحملات الصليبية المكلوبة التي امتدت إلى القرن 19م، ويجب التصدي لها ومحاربتها.

وفي الأخير نأمل أن يتجند مؤرخونا بجميع الوسائل، والإمكانيات المتاحة لهم – كما هو الحال في الغرب– من أجل الذود والدفاع عن الأمة العربية والإسلامية من كل ما هو دخيل عليها، وللرد على افتراءات وأباطيل ومزاعم الغرب المتعصب دينيا وأخلاقيا في عالم يفرض فيه الأقوى قوانينه وإيديولوجيته.

المدخل

لقد عرفت الحياة الثقافية والدينية في الدولة العثمانية، وخاصة في ولاياتها العربية المشرقية خلال القرن 19م منحنى مغاير تماما لما سبق هذه الفترة من جمود، وركود ثقافي على اعتبار أن الدولة العثمانية دولة عسكرية بالدرجة الأولى، لم تهتم كثيرا بالجانب الثقافي فقد أتت التطورات الفكرية المستجدة التي طرأت على الفكر العربي والإسلامي أكلها، فخرج هذا الأخير تدريجيا من الإنكفاء على ذاته، وأخذ يتأثر أكثر فأكثر بالحضارة والفكر الغربيين اللذين نفذا إلى الدولة العثمانية، ولاسيما بعد ما عانته من الأطماع الغربية الأوربية بأرضها[1].

ولابد لنا من التأكيد على أن التيار الفكري الديني الإسلامي، السني كان هو التيار الفكري السائد بالنسبة للمجتمع العربي الإسلامي، علما وتعليما، وتأليفا، وأثرا، وكان هدفه التمكين لأصول الدين الإسلامي في النفوس، وحمايته من البدع الطارئة ونشر السنة، ودعمها في وجه التيارات الدينية والمذهبية الأخرى، كالتيار الديني الشيعي، أو التصوف الشعبي[2].

ففي هذا الوقت أخذ الفكر العربي الإسلامي يعاود النظر في أصوله الإسلامية، ويرى أنها في نقائها الأول، كانت هي الدعامات الراسخة للحضارة العربية الإسلامية المتألقة، ولقوة العرب والمسلمين، فأخذ الفكر الإسلامي يتحرك باتجاهات جديدة، وينبه الجماهير العربية والإسلامية إلى الواقع الجديد، وإلى ضرورة قراءة الإسلام بروح وفكر حديثين، يتلاءمان مع

([1]) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر صالح سعداوي، ج2، د ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 1999، ص378.

([2]) المصدر نفسه، ص360.

هذا الواقع المتطور، حتى أطلق على هذه المرحلة من الحياة الفكرية في بلاد المشرق العربي اسم النهضة العربية[1].

وقد تبدى هذا التحرك اليقظوي في بلاد المشرق العربي، من خلال الاحتكاك بالغرب الأوربي عن طريق عدة منافذ: كالإرساليات التبشيرية، والوفود الأجنبية إلى المنطقة، والتي حملت في ثناياها -كما تزعم- بذور الحضارة الأوربية، والعلوم والمعارف، والأفكار العلمانية والقومية، وكذا الهجرة من الولايات العربية إلى أوربا، وأمريكا، مع بقاء التواصل مع الوطن الأم، ثم إتقان الكثير من اللغات الأوربية المختلفة، وما تبع ذلك من حركة ترجمة واسعة من تلك اللغات إلى العربية، وانتشار الطباعة ودور النشر، وظهور الصحافة التي سهلت الإطلاع على ما يحدث في الغرب الأوربي من تطورات[2]. وهو ما تزامن كذلك مع شروع الدولة العثمانية في إصدار، وتطبيق مجموعة هامة من الإصلاحات في مختلف الميادين، وعلى جميع الأصعدة، في محاولة منها لإصلاح شؤونها الداخلية، والخارجية على النمط الأوربي، فأصدرت ما يسمى بالتنظيمات الخيرية، وملاحقهما التنفيذية من قوانين منظمة متنوعة. كل هذه العوامل ساعدت وساهمت في هذه النهضة الفكرية العربية[3].

وقد تجلت النهضة الفكرية في الولايات العربية بالمشرق بمظاهر شتى: فكرية واقتصادية، واجتماعية، وسياسية إلا أن المظهر الفكري هو المحرك الأساسي لكل المظاهر الأخرى والدافع لها. تجلى هذا الأخير في أفكار العلماء والأدباء العرب المسلمين، وغير المسلمين، وفي دعواتهم التي بثوها في مؤلفاتهم المتنوعة، ومقالاتهم الكثيرة في الصحف

([1]) جورج أنطونيوس : يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، تر ناصر الدين الأسد ، إحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، لبنان، 1987، ص101.

([2]) أكمل الدين إحسان أوغلي: المصدر السابق، ص398.

([3]) عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: التنصير الأمريكي في بلاد الشام1834-1914م، ط1، مكتبة مدبولي، 2005، ص ص 273-275.

التي تكاثف ظهورها خلال هذه الفترة، ويمكن تمييز عدة تيارات فكرية رئيسة في خضم الأفكار الكثيرة التي ملأت الساحة العربية آنذاك وهي[1]:

- تيار ديني إسلامي، يرى أن النهوض بالمجتمع العربي والإسلامي بصفة عامة، لا يكون إلا بالعودة إلى أصول الدين الإسلامي[2].
- تيار ثاني يمكن وصفه بأنه تيار نصف علماني، أو مزيج بين العلمانية والدين، ويطلق عليه أيضا تيار قومي محلي، لأنه يتميز عن التيار الأول بأنه لم يتخذ طابع الشمول للعالم الإسلامي ولا حتى العربي، بل كان تيار فكري ذا طابع محلي[3].
- التيار الثالث في حركة النهضة العربية تيار علماني، أي لا ينظر إلى الدين على أنه أساس للنهوض بالمجتمع العربي من ضعفه[4].

هذا فيما يتعلق بالحياة الفكرية الثقافية- التي غلب عليها الطابع الديني- عموما في الولايات العثمانية العربية، في بلاد المشرق خلال القرن 19م.

وبما أن موضوع دراستنا هو المدارس التبشيرية في بلاد المشرق العربي خلال الفترة العثمانية، سنحاول إلقاء نظرة سريعة على النظام التعليمي الذي كان مطبقا في الدولة العثمانية، وولاياتها في المشرق، وأهم التحديثات التي أدخلت عليه-نظام التعليم- وما أضافته الدولة العثمانية إلى المشرق العربي من مدارس، ومراكز علمية في تلك الفترة.

([1]) خليل إينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر محمد.م. الأرناؤوط ، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2002، ص253.

([2]) أكمل الدين إحسان أوغلي: المصدر السابق، ص381.

([3]) المصدر نفسه، ص384.

([4]) سليمن موسى: الحركة العربية المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908_1924م، ط3، دار النهار للنشر، لبنان، 1986، ص ص 22-30.

فمما لا شك فيه أن أهم عوامل التفجر الجديد في الحياة الفكرية في الدولة العثمانية وولاياتها العربية بالمشرق، هو الخروج في القرن 19م عن نمط التعليم الديني، والتصوف التقليدي، إذ كانت المدرسة في السابق عبارة عن مؤسسة وقفية، تكون عنصرا من مجمع يضم جامعا، وغيرها من المنشآت الخيرية، وكان متولي هذا المجمع يعهد إلى المدرس بالمال المخصص للمدرسة، ويترك للمدرس أن يختار الطلاب، والعاملين، وعلى إدارة المدرسة بشكل عام. وهكذا كانت المدرسة عبارة عن وحدة تدار إدارة ذاتية، أو مؤسسة تتمتع باستقلال إلى حد ما، أما المدرس فيعين برسوم سلطاني[1].

هذا فيما يخص المدرسة، أما عن العلوم المدرسة فكانت العلوم العثمانية مرتبطة بالمفهوم الإسلامي التقليدي، الذي يرى أن التعليم الديني هو العلم الحقيقي الوحيد الذي له هدف واحد: فهم كلام الله، وكان الأساس في هذا التعليم القرءان الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، بينما كان العقل يعتبر أداة مساعدة في خدمة الدين. أما منهجية العلوم الدينية فكانت تتمثل في البحث عن الدليل في القرءان الكريم أولا، ثم في الأحاديث النبوية وبعد ذلك في السنن السابقة المدونة وأخيرا الاجتهاد الشخصي[2].

وخلال مرحلة التنظيمات 1839-1876م (هي مرحلة قامت خلالها الدولة العثمانية بالعديد من الإصلاحات الشاملة لمختلف الميادين)، حيث بدأت حركة الإصلاحات في مرافق الدولة العثمانية المختلفة، تم إدخال الأساليب الغربية الحديثة في التعليم، والعمل بشكل حثيث على

(1) خليل إينالجيك: المرجع السابق، ص259.
(2) المرجع نفسه، ص263.

تثبيت التعليم العصري ونشره، فأصبحت المدارس لا تعد طلابا فقط، بل تهيء ما تحتاجه الدوائر من كوادر، ويمكن تقسيم هذه المؤسسات إلى أربعة أقسام وهي[1]:

1. **مدارس السراي:** أنشأت داخل القصور العثمانية، لتعليم أطفال العائلة العثمانية، وإعداد الموظفين والمستخدمين لخدمة السلاطين والأمراء.
2. **المدارس العسكرية:** هي المدارس التي تعد ضباطا عسكريين، وموظفين للعمل في دوائر الدولة.
3. **مدارس الموظفين:** هي مدارس متخصصة أنشئت لإعداد موظفين للدولة، واقتصرت على العناصر غير التركية من الأسرى والمماليك.
4. **المدارس الشعبية:** وهي مخصصة لتعليم عامة الشعب، وتنقسم إلى المدارس الابتدائية والمهنية، والعالية، ومنها أيضا المدارس الدينية والكتاتيب(مدارس الصبيان)[2].

ومن المؤسسات التعليمية التي أنشئت من قبل الدولة العثمانية على الطراز الحديث نذكر المدرسة الطبية سنة 1827م، والمدرسة الحربية سنة 1837م بإسطنبول، ورغم أن التحديث في التعليم العام لم يتم إلا بعد إصدار فرمان الكولخانة، فافتتحت لأول مرة المدارس المتوسطة المسماة بالرشدية، ومدرسة المعارف والعدلية، وقامت أيضا بتأسيس دار للمعلمين، والمدرسة الإدارية لإعداد الموظفين الإداريين للعمل في دوائر الأقضية والنواحي في سنة 1859م[3].

---

(1) عبد الرحيم عبد الرحمن: موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية،ج1، د ط ، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008، ص99.

(2) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2003، ص ص 371،370.

(3) أحمد نوري النعيمي: الدولة العثمانية واليهود، ط1، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2006، ص70.

ولم تنسى الدولة العثمانية تنظيم شؤون التعليم، فأقامت مجلسا للمعارف في سنة 1846م ولجنة استشارية، كما شكلت في سنة 1856م الهيئة العامة للمعارف، وقسمتها إلى لجنتين:

أناطت بالأولى شؤون المدارس الدينية الإسلامية، أما اللجنة الثانية فأخذت على عاتقها ما يتعلق بأمور التعليم في المدارس الرشدية والعالية، وأخيرا تأسست وزارة المعارف 1856م، إلا أن أهم حدث شهده التعليم في تلك الفترة هو إعلان نظام المعارف العام، الذي حدد سياسة الدول تجاه التعليم، وأهداف المدارس المختلفة المقامة من قبل الدولة وغيرها وما يتعلق بها[1].

كما يمكن أن نشير إلى أن التعليم في المدارس الرسمية لم يقتصر على المسلمين فقط بل فتحت هذه المدارس أبوابها لجميع رعايا الدولة دون تمييز، وكلا الجنسين، ومما يجدر ذكره أيضا أن التعليم في العهد العثماني حتى عهد التنظيمات كان يتم باللغة العربية حتى سمي هذا الدور بدو التعريب، فالعثمانيون على الرغم من استخدامها للغة التركية في الأمور الرسمية إلا أنهم لم يدرسوها في أي مؤسسة من مؤسساتهم[2].

ولم تختلف منجزات الدولة العثمانية في مجال بناء وتشيد دور العلم، ومراكز الإشعاع الفكري في داخلها عما أنجزته وأضافته إلى الولايات العربية بالمشرق، ففي الحقيقة لم تخضع هذه الأخيرة المؤسسات التعليمية العربية المشرقية لنظامها التعليمي، بل أبقت لها تقاليدها، وقد كان في مركز كل ولاية عربية بل في كل مدينة رئيسية مسجد جامع، وأحيانا

([1]) في أواخر القرن 19 وضعت الدول العثمانية قيود شديدة على المؤسسات التعليمية خاصة التبشيرية، والتي اعتبرت مركز لإثارة القومية والثورة لدى الأقليات الدينية خاصة الطوائف النصرانية، أنظر عفاف سيد صبرة:المستشرقون ومشكلات الحضارة، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص ص40-44.

([2]) فاضل بيات: المرجع السابق، ص373.

أكثر من واحد، يستقطب كبار العلماء والمدرسين والطلبة لا من أنحاء بلاد المشرق العربي فحسب وإنما من الولايات العربية الأخرى، بل ومن أنحاء العالم الإسلامي بما فيه عالم الدولة العثمانية نفسها قبل ضمها لبلاد المشرق العربي وبعدها، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: الجامع الأموي في دمشق، والأزهر الشريف في القاهرة، والأقصى في القدس، والحرمين الشريفين في مكة والمدينة وغيرها[1].

ولم تكتفي الدولة العثمانية بالسعي للحفاظ على المؤسسات التعليمية المختلفة التي كانت بالمشرق قبل مقدمها، بل عملت عبر سلاطينها وولاتها، وكبار إداريها، وحتى في مرحلة ضعفها على تشييد مؤسسات دينية تعليمية جديدة، وترميم الخرب منها[2].

ولا يزال عدد غير قليل من تلك المؤسسات قائما إلى الآن نذكر منها في العراق: جامع المرادية، جامع الصاغة أو الخفافين، جامع الوزير،... وفي بلاد الشام لم تكن جهود الدولة العثمانية الدينية والتعليمية فيها أقل مما كانت عليه في العراق، ومن أهم المدارس جامع الشيخ محي الدين بن العربي، أو المدرسة السليمية، مسجد عيسى باشا، جامع الدرويشية،... وفي بلاد الحجاز فإلى جانب المنبرين التعليميين الكبيرين في مكة والمدينة، والممثلين بالحرمين الشريفين الذين كان سلاطين بني عثمان يغدقون عليهما الأوقاف الكثيرة، أمر السلطان سليمان القانوني ببناء المدارس السلطانية الأربع جنوبي المسجد الحرام في مكة. وفي بلاد اليمن نجد: مدرسة الإسكندرية، المدرسة الكمالية، المدرسة العادلية، والمدرسة البكيرية،... ومع ما كانت تملك مصر من جوامع ومساجد، ومدارس وزوايا قبل ضم العثمانيين لها، فإن ولاتهم وكبار إداريهم لم يألوا جهدا في إنشاء الكثير من المؤسسات الدينية التعليمية في القاهرة عاصمة الولاية، وفي بعض المدن المصرية الأخرى، فمن أهم

([1]) أكمل الدين إحسان أوغلي: المصدر السابق، ص316.

([2]) فاضل بيات: المرجع السابق، ص379.

مدارس مصر العثمانية نجد: جامع خير بك، جامع بولاق، جامع سيدي سارية، المدرسة الداوودية،...[1]

تلك كانت بعض المؤسسات التعليمية الدينية في المشرق العربي العثماني، وإن كان لا يجب أن يسهى عن الزوايا التي قد يكون من الصعب حصرها لكثرتها، وتوزعها لهذا اكتفينا بالإشارة إلى أهمها.

وعليه يمكن القول أن الأوضاع الثقافية في الدولة العثمانية وولاياتها العربية بالمشرق اصطبغت وغلبت عليها الصبغة والطابع الدين، فلا تفكير ولا ثقافة ولا إبداع خارج الحدود التي رسمها الدين الإسلامي. ولكن بعد حدوث النهضة العربية في بلاد المشرق خرج الفكر الإسلامي من نطاقه الجغرافي، وتأثر بالتطور الحاصل في أوربا ، وهو الأمر الذي انعكس على التعليم الذي كان مواكبا للحركة الثقافية والدينية في مسارها وتحولها.

(1) أكمل الدين إحسان أوغلي: المصدر السابق، ص320.

الفصل الأول:

الحركة التبشيرية في المشرق العربي وعوامل انتشارها

المبحث الأول: تعريف التبشير لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: الجذور التاريخية للتبشير في بلاد المشرق العربي.

المبحث الثالث: العوامل المساعدة على انتشار التبشير في بلاد المشرق العربي.

المبحث الأول: تعريف التبشير

يتردد مصطلح التبشير في كثير من الكتابات العربية وهو أشهر مرادف لمصطلح التنصير[1]، والتبشير هو التعبير المحبب لحملات التنصير.

والتبشير في مفهومه العام ظاهرة بدأت مع ظهور رسالة عيسى بن مريم عليهما السلام، وله عدة تعريفات مختلفة، وحصل لهذا المفهوم عدة تطورات بحسب العصور التي مرت بها النصرانية، وفيما يلي أهم تعريفات التبشير[2]:

1-1-1-المعنى اللغوي للتبشير:

التبشير في اللغة مأخوذ من الفعل الثلاثي: بَشَرَ يقال:"بَشّرتُ فلانا أبشره تبشيرا، وذلك يكون بالخير والشر"[3].

و"بشره تبشيرا و الإسم البشارة (بكسر الباء وضمها) ويقال: بشر (بالتخفيف) فَأُبْشَرَ ابشارًا أي سر" ومنها قوله تعالى " **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** "[4].

وبشرني فلان بوجه حسن أي لقيني وهو مسرور، ولا يستعمل التبشير في الغم والشر إلا مقيدا منصوصا على الشر المبشر به كقوله تعالى:" **بَشِّرْ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً** "[5].

([1]) يأتي التنصير في اللغة من مادة نَصَرَ فيقال: " نَصَّره تَنْصيرًا جعله نصرانيا" و"تنصر أي دخل في دين النصارى"و"النصارى جمع نصران، يقال: رجل نصران، وامرأة نصرانية والياء في نصراني للمبالغة كالتي في أحمري ولا يستعمل نصران ونصرانة إلا بياء النسب". والمصادر اللغوية في العربية تكاد تجمع في كون مجيء إطلاق لفظة النصارى من قبيل الانتساب لقرية "الناصرة" فيقول صاحب القاموس المحيط: "ونصران بوزن نجدان قرية بالشام ينسب إليها النصارى يقال اسمها ناصرة" فعرف النصارى بهذا الإسم لأن مبدأ دينهم كان من "ناصرة" فاشتق اسمهم منها. أنظر عبد العزيز الكحلوت: التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء، ط2، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1992، ص17.

([2]) علي بن ابراهيم الحمد النملة، التنصير في المراجع العربية، ط2، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2003، ص49.

([3]) عبد الفتاح إسماعيل غراب: العمل التنصيري في العالم العربي رصد لأهم مراحله التاريخية والمعاصرة، رسالة ماجستير، مكتبة البدر، د س، ص09.

([4]) سورة فصلت الآية 30.

([5]) سورة النساء الآية 138.

والتبشير إذا جاء مقيدا بالشر فيكون المقصود به السخرية والغرض منه هو التهكم والاستهزاء الزائد في غيظ المستهزئ به وتألمه واغتمامه، ومنها قول الرجل لعدوه: أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك[1].

1-1-2- مفهوم التبشير في الاصطلاح:

تعريفات التبشير-التنصير- جاءت متنوعة ومختلفة ومتباينة، نظرا لاعتماد أكثرها على الأهداف والوسائل دون المحاولة للوصول إلى مفهوم كلي للتبشير.

وفيما يتعلق بالمفهوم الحديث والاصطلاحي للتبشير فهو عبارة عن حركة دينية سياسية، استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على تلك الشعوب[2].

وتعرفه الموسوعة العربية العالمية بأنه: مصطلح يقصد به قيام مجموعة من النصارى بنشر النصرانية بين الناس في جميع أنحاء العالم بطريقة تنظيمية حتى يعتنقها الكثيرون ويرغبون عن دينهم الأصلي[3].

أما الشيخ أحمد القطعاني وهو أحد المفكرين جاء تعريفه للتبشير على النحو الآتي: "إعداد الخطط، وتنفيذ هذه الخطط وتطوير هذه الخطط لتحويل المسلمين إلى النصرانية باستغلال الجهل والفقر وما يتاح من ظروف مشابهة"[4].

([1]) عبد العزيز بن إبراهيم العسكر: التنصير في الخليج العربي، ط3، الدار العربية للموسوعات، الرياض، 2007، ص20.

([2]) علي بن إبراهيم الحمد النملة: المرجع السابق، ص ص 43،44.

([3]) راغب السرجاني: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ج2، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2005، ص432.

([4]) عبد الفتاح إسماعيل غراب: المرجع السابق، ص14.

ولكن لابد أن ندرك جليا حقيقة هذا التبشير والتي تظهر فيما أعلنه بعض المنصرين، وعلى رأسهم "صموئيل زويمر"[1] أنظر الملحق رقم (01) في أكثر من مناسبة، ومنها المؤتمر التنصيري الذي عقد بجبل الزيتون بفلسطين سنة 1927م، حيث بين أحد أقطاب هذا المؤتمر أن مهمة المبشرين التي ندبتهم حول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست إدخال المسلمين في المسيحية لأن هذا في هداية وتكريم لهم، وإنما مهمتهم هي إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا لصلة له بالله وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها[2].

ويظل مفهوم التنصير قابلا للتطوير بحسب ما تقتضيه الحال وبحسب البيئة التي يعمل بها، وبحسب التوجهات العقائدية والسياسية التي تسير المنصرين وتسعى بهم إلى تحقيق أهداف إستراتيجية داخل المجتمعات، التي يغلب عليها النصارى والمجتمعات الأخرى التي يغلب عليها غير النصارى.

خلاصة القول أنه يظهر جليا الترابط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكلمة أو مصطلح التنصير، فالمحصلة النهائية هي إدخال الناس في النصرانية، وإقناعهم بأنها الدين الأمثل لهم، وحتى يتقبل الناس هذا العمل الجديد عليهم، سماه أهله التبشير لما لهذه الكلمة من أثر جيد في النفوس، ولاشك أن استعمال التبشير اسما للتنصير هو من باب الخداع، وإن كان مع الأسف الشديد صار عند أكثر الباحثين العرب[3]، ولذلك يلزم الباحثين المسلمين أن يكونوا حريصين على تجنب تسمية التنصير بالتبشير حتى لا ينخدع بذلك القراء المسلمون، بل لابد من وضع الأمور في إطارها الصحيح.

([1]) صموئيل زويمر يعد من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث، فهو زعيم المبشرين في العالم، ويلقب "بالمختار إلى العالم الإسلامي". انظر عبد الودود شلبي: الزحف إلى مكة حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي، د ط ، دار الفتح للإعلام العربي، 2003، ص ص 97-99.

([2]) مصطفى خالدي، عمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط3، المكتبة العصرية، بيروت، 1953، ص ص 24،25.

([3]) عبد العزيز بن إبراهيم العسكر: المرجع السابق، ص21.

المبحث الثاني: الجذور التاريخية للتبشير في بلاد المشرق العربي

يعود تاريخ التبشير المسيحي إلى صدر النصرانية ومبتدأ تأسيسها، ثم إن الصراع القائم بين المسيحية وبين الإسلام قد امتدت جذوره إلى فترة انبثاق فجر الإسلام على العالم، وجاءت بعد ذلك الحروب الصليبية لتوسع فجوة العداوة بين القوتين المتصارعتين، ولم تكن الهزيمة النكراء التي منيت بها جيوش الصليبيين تخمد نار الحقد والضغينة الكامنة في قلوبهم، فأخذ الغرب المسيحي الحاقد على الإسلام والمسلمين، يشن حملة ضخمة تستهدف نشر المسيحية، وتنصير المسلمين هذه الحملة ليست إلا امتدادا للحملات الصليبية التي فشلت في تحقيق أغراضها[1]

فقد جاءت الإرساليات التبشيرية الأجنبية مبكرا إلى بلاد المشرق العربي الذي كان تابعا للسلطنة العثمانية، حيث تعود جذورها إلى مطلع القرن 17م، وفيما يخص تاريخ دخولها الفعلي إلى كل ولاية عربية فإن ذلك يختلف من ولاية إلى أخرى بسبب الفروقات السياسية والعرقية، ومدى ملائمة ظروف كل منطقة لعمل ونشاط البعثات التبشيرية، ففي مصر تعود الجذور التاريخية لإرساليات التبشير إلى بداية القرن 19 إبان حكم محمد علي باشا عليها[2].

وقد ظل عمل الإرساليات التبشيرية في بدايته محصورا في النشاط بين الأوساط والطوائف المسيحية، وقد اقتصرت مجهوداتها على إنشاء عدد قليل من المدارس والمعاهد في أماكن متفرقة، ونشر عدد من كتب العبادات باللغات الأوربية[3].

([1]) خضر مصطفى النيجيري: التبشير والاستعمار في نيجيريا، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا الشرعية، جامعة الملك عبد العزيز، 1979، ص85.

([2]) خالد محمد نعيم: الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر، د ط ، المختار الإسلامي، القاهرة، د س، ص43.

([3]) حسين العودات: العرب النصارى عرض تاريخي، ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1992، ص163.

وكانت أغلب هذه الإرساليات كلها كاثوليكية، ومعظمها فرنسية تنتسب إلى اليسوعيين أو الكبوشيين أو الكرمليين، وكان من العسير عليها بحكم التعصب الشديد الذي كان يسود ذلك العصر أن تعمل خارج نطاقها، ولذلك اضطرت أن تحصر معظم جهودها في رعاية الطوائف المسيحية، وكان اليسوعيون أنشط هذه الجمعيات وتعود صلتهم ببلاد المشرق العربي إلى سنة 1652م، ومع أنهم كانوا يعانون كثيرا من المشاق بسبب الاضطهاد والفقر المدقع غير أنهم استطاعوا بثباتهم ومثابرتهم أن يحافظوا على كيانهم[1].

هذا وقد وفدت فيما بعد الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية والأرثوذكسية، والبروتستانتية التي اشتد الصراع بينها وبين الكاثوليك على أماكن النفوذ في المناطق المقدسة بالمشرق العربي[2].

وقد اعتمد العمل التبشيري خلال هذه الفترة على إستراتيجية قامت على عدة محاور، منها دراسة الواقع الحالي للإقليم، حيث قام بعض المنصرين بالدراسة الميدانية للمنطقة لاختيار أنسب طريقة ملائمة لمزاولة نشاطهم، وعكفوا على دراسة الإسلام دراسة وافية لنفس الغرض، وأيضا محاولة التقرب إلى الطوائف المسيحية الموجودة في المنطقة مثل: الطائفة المارونية[3] التي كانت من أولى الطوائف التي ركز عليها المنصرون[4].

وبحلول منتصف القرن 19م كثفت الإرساليات التنصيرية الأجنبية نشاطها بشكل خاص، وكانت تنتهج سياسة مرنة في كسب الأنصار الجدد، وفي السعي إلى تأكيد نفوذ كنائسها في البلاد، وقد أحرز البروتستانت الأمريكيون نجاحا باهرا لأنهم أجازوا استعمال

([1]) جورج أنطونيوس: المرجع السابق، ص97.

([2]) عبد الفتاح إسماعيل غراب: المرجع السابق، ص37.

([3]) طائفة من طوائف النصارى الكاثوليك الشرقيين، قالوا بأن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة، ينتسبون إلى القديس مارون، ويعرفون بالموارنة متخذين من لبنان مركزا لهم. انظرعبد العزيز محمد عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة عين شمس، د س، ص305.

([4]) ثريا فاروقي: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، تر حاتم الطحاوي، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2008 ، ص ص 291-293.

اللغة العربية في ممارسة العبادة، الأمر الذي مكنهم من الاقتراب من السكان المحليين بشكل أسرع، واعتمدت هذه الإرساليات خلال هذه الفترة على إستراتيجية تقوم على محورين أساسيين هما[1]:

- **المحور الأول:** تثبيت نفوذهم في المنطقة والعمل على زيادته من خلال محاولة التأثير على الرأي العام، واشتركت في هذه النقطة كل الطوائف المسيحية، وكذلك من خلال بناء الأديرة والكنائس واختصت بهذا الإرسالية الكاثوليكية[2].
- **المحور الثاني:** محاولة إنشاء دول مسيحية في المنطقة، أي تحويل الملة المسيحية إلى أقلية ذات ثقافات مختلفة فيما يشبه الأقلية القومية ذات كيان مستقل[3].

وعلى أية حال فقد أدت نشاطات هذه الإرساليات والبعثات التبشيرية دورا هاما في بلاد المشرق العربي خاصة فيما يتعلق بنشر التعليم والتنوير بين مختلف الطوائف وهذا بمساعدة عدة عوامل سيأتي ذكرها في المبحث التالي.

المبحث الثالث: العوامل المساعدة على انتشار التبشير في بلاد المشرق العربي

تضافرت مجموعة من العوامل والظروف جعلت من بلاد المشرق العربي بيئة خصبة لنشاط الإرساليات التبشيرية التي توافدت عليه خلال تلك الفترة ويمكن حصر هذه العوامل فيما يلي:

أولا: التنوع الديني والطائفي، حيث يوجد ببلاد المشرق حشد كبير من الطوائف والمذاهب، وكان التنوع الديني أكثر وضوحا وأقوى بروزا، وأشد تعقيدا خاصة ببلاد الشام وكان لهم ثقل

([1]) عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ج2، د ط، مكتبة الأنجلو مصرية، 2004، ص52.
([2]) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الشهري: التبشير في بلاد الشام لبنان- سوريا- فلسطين- الأردن، رسالة ماجستير، قسم الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود، د س، ص39.
([3]) المرجع نفسه، ص61.

سياسي في حياة البلاد فمن المسلمين يوجد بها: السنة، الشيعة، الدروز، النصيرية، المتاولة، والإسماعيلية[1].

ويوجد بها من الطوائف المسيحية: الموارنة، السريان[2]، الكاثوليك بالإضافة إلى اليهود وغيرهم، ومن هذا يتبين لنا أن معظم هذه الطوائف كانت لقمة سائغة للمبشرين[3].

ثانيا: كان رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين يخضعون لنظام خاص أطلق عليه "نظام الملل" وهو نظام يرعى شؤونهم الدينية، ويفصل في قضاياهم الشخصية، ولم تكن الدولة العثمانية بموجب هذا النظام تتدخل في أي شأن من شؤونهم، بل كانت تعتبر الرؤساء الدينيين لكل طائفة غير مسلمة هم المسؤولين عنها، مما منحهم الحرية الأوسع في الوفود والاستقرار وتأسيس المدارس ودور العلم في مختلف الولايات العربية في بلاد المشرق العربي، وقد سهلت الدولة العثمانية ذلك بسبب ضعفها، وضغط الدول الأروبية عليها[4].

ثالثا: استمرت علاقة الدول العثمانية بالطوائف غير المسلمة في بلاد المشرق العربي مستقرة حتى القرن 19م أين بدأت العلاقة بينهما بالتغير نتيجة للتدخل الأوربي، وبداية ظهور

([1]) الدروز طائفة شيعية تنتسب ظاهريا إلى الإسلام، ويتظاهرون أمام المسلمين بأنهم مسلمين وأمام النصارى بأنهم نصارى، ويحرصون أشد الحرص على كتمان عقائدهم السرية، وينكرون ما يؤخذ عليهم منها، بل يذمونها زمام المعترضين رياء ونفاقا. المتاولة هم من غلاة الشيعة سكنوا في جنوبي لبنان، فيما عرف بجبل عامل، وامتدوا إلى البقاع، وقد تعرضوا لضغط شديد من جيرانهم الدروز، أما النصيرية أو العلويون هم طائفة شيعية باطنية يجيزون الزواج بالحرمات مثل : الأم والأخت والإبنة وتسببوا في خلق متاعب كثيرة للدولة العثمانية ولجيرانهم، إذا كانوا يعتدون على المسلمين السنيين والمسيحيين، والإسماعيلية من أقدم الطوائف الشيعية في بلاد الشام، ومركزهم الرئيسي في السلمية شمالي شرق حمص وهم أيضا من غلاة الشيعة.أنظر عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص ص 55،56.

([2]) السريان هم سلالة حضارة بلاد الرافدين أحفاد السومريين والأكاديين والأشوريين، وهم شعوب بلاد ما بين النهرين وسوريا، وفلسطين، والأردن، ولبنان، وأجزاء من مصر، وتتألف السريانية في الشرق الأوسط من الطوائف المسيحية التالية:الأرثوذكسية، الكاثوليكية، المارونية، اللاتينية. أنظر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الشهري: المرجع السابق، ص30.

([3]) عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص54.

([4]) أكمل الدين إحسان أوغلي: المصدر السابق، ص ص 398،399.

الأطماع الاستعمارية فعملت كل دولة على أن تتخذ طائفة ترتكز عليها مصالحها، وتطلعت هذه الطوائف هي الأخرى لأروبا رغبة في تدخلها لنيل المزيد من الامتيازات[1].

رابعا: انتشار الفكر القومي والعلماني داخل الدولة العثمانية بعد ازدهار حركة الترجمة خاصة من الفكر الفرنسي إلى اللغة التركية خلال القرن 19م، وذلك عن طريق اقتباس الدولة العثمانية وأخذها عن الغرب الأوربي لاقتناعها أن هذا يسرع في التطوير الحديث للبلاد، ويقربها من المستوى الحضاري الأوربي[2].

خامسا: استياء العرب المسلمين من النظام التركي الذي قام باتباع سياسة التتريك وسخطهم على الدولة العثمانية التي ساوت بين المسلمين والمسيحيين في الحقوق والمواطنة وغير ذلك، الأمر الذي سهل على المبشرين جذبهم إليهم واحتوائهم دينيا، وكسب ودهم باستغلال الفقر، المرض، الجهل، والأوضاع الاجتماعية المتردية[3].

سادسا: حكم محمد علي باشا في مصر، وابنه ابراهيم باشا في بلاد الشام وسياستهما التي عملت على التقرب من النصارى، واليهود من أجل كسب ود الدول الأوربية للوقوف إلى جانبه –محمد علي باشا– في تمرده ضد السلطان العثماني، وسعيه لبسط نفوذه على بلاد الشام[4]، ومن هنا فقد منح لهذه الطوائف كثيرا من التسهيلات فألغيت كافة العوائد والمرتبات التي كانت مفروضة على الأديرة والمعابد، ودفع تعويض لمستحقيها من الخزانة، ولم يقصر

([1]) صار من اهتمامات السلاطين العثمانيين الأساسية إرضاء الأوربيين الذين أخذوا شيئا فشيئا ينصبون أنفسهم (حماة) للطوائف المسيحية في بلاد المشرق العربي، فروسيا (حامية) الأرثوذكس، وفرنسا (حامية) الكاثوليك، وانجلترا وأمريكا فيما بعد (حامية) البروتستانت، إن حرص الأوربيين على توسيع امتيازاتهم، وبحثهم الدائم عن إيجاد مبررات للتدخل في شؤون الإمبراطورية العثمانية جعلهم يجدون هذا المبرر في شعار (حماية الأقليات المسيحية) داخل الإمبراطورية العثمانية، وخلق واقع ثابت يؤكد هذه الحماية ويعطيها الاستمرار. أنظر حسين العودات: المرجع السابق، ص16.

([2]) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الشهري: المرجع السابق، ص19.

([3]) حسين العودات: المرجع السابق، ص164.

([4]) خالد محمد نعيم : المرجع السابق، ص ص 47،48.

الأمر على ذلك فحسب بل سمح لهم بإعادة بناء الكنائس والمعابد، وأعلن مبدأ المواطنة كبديل للدولة الدينية وغيرها[1].

وانطلاقا من كل هذا يمكننا أن نؤرخ بداية النشاط التبشيري الفعلي والتغلغل الأجنبي في المجالات الاقتصادية والثقافية في بلاد المشرق العربي، فقد ظهر الحكم المصري لمحمد علي باشا على أنه يحمل عوامل تساعد على نشاط الإرساليات التبشيرية.

سابعا: الإصلاحات التي قامت بها الدولة العثمانية خاصة على يد السلطان عبد المجيد الأول بن محمود والتي عرفت باسم "التنظيمات الخيرية" بصدور "خط شريف كولخانة" و"خط شريف همايون" و"الدستور"[2].

ولعل أهم ما نص عليه مرسوم كولخانة احترام الحريات العامة، ومساواة الجميع أما القانون بغض النظر عن الدين، ونص على أحقية غير المسلمين في ترميم كنائسهم، ومعابدهم، ومقابرهم، حسب هيئتها الأصلية، وإجراء الحريات الدينية كاملة، وحذف الألفاظ والتمييزات التي كانت تستخدم في الكتابات الرسمية وتمييز صنف على صنف آخر من الناس لاختلاف دينهم وعقيدتهم[3].

أما خط شريف همايون، والذي أعلن قبل مؤتمر باريس الذي عقد في 25 فيفري 1856م فقد جاءت مواده لتؤكد على المساواة التي أعلنها خط كولخانة، بالإضافة إلى حق

([1]) جورج أنطونيوس: المرجع السابق، ص97.

([2]) صدر خط الشريف كولخانة عام 1839م، وخط شريف همايون في عام 1856م وأما الدستور فقد صدر في عام 1876م، وقد اقترنت هذه التنظيمات بأسماء الوزراء الذين تعلموا في الغرب، وعادوا محملين بثقافة غربية لاسيما الأفكار المادية والعلمانية والقومية، ومن هؤلاء:رشيد باشا وعالي باشا، ومدحت باشا، والجدير بالذكر أن مرسوم كولخانة وهمايون أعلنا تحت ضغط الدول الأوربية، ورغبة من الدولة العثمانية في كسب مساندة هذه الدول لها في حربها ضد محمد علي باشا والوقوف في وجه مطامحه لإخراجه من بلاد الشام وهو ما حدث في سنة 1840م، كما مثل الوزراء الذين تعلموا في الغرب، وآمنوا بالأفكار الجديدة قوة ضغط على السلطان عبد المجيد الأول لإعلان المرسومين. أنظر عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: المرجع السابق، ص12.

([3]) حسين العودات: المرجع السابق، ص170.

الدولة في تجنيد المسيحيين للخدمة العسكرية إذا أرادوا ذلك مع تخويلهم الحق في دفع البدل النقدي للإعفاء من هذه الخدمة إذا أرادوا ذلك أيضا[1].

ومن هنا كانت التنظيمات العثمانية، وما منحته للدول الأوربية من امتيازات، وتسهيلات بيئية مثالية لعمل المبشرين في الإرساليات المختلفة داخل بلاد المشرق العربي، وجواز المرور الشرعي لهذه الوفود، بل والمظلة الشرعية التي مارست – الإرساليات التبشيرية– نشاطها التبشيري.

وعليه يمكننا القول أن العوامل التي سبق ذكرها من أهم ما ساهم، وساعد في انتشار العمل التبشيري بشكل كبير وسريع في بلاد المشرق العربي.

(1) عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: المرجع السابق، ص ص 14- 16.

الفصل الثاني:

نبذة عامة عن المدارس التبشيرية في بلاد المشرق العربي

المبحث الأول: تعريفها وجذورها التاريخية.

المبحث الثاني: نظامهـــا العـــام.

المبحث الثالث: أهدافهـا ومن يقف وراءها...

المبحث الأول: تعريفها وجذورها التاريخية

2-1-1-تعريفها:

لقد حاول الغرب عبر التاريخ أن يصل إلى الوثاق الغليظ ، الذي جعل الأمة العربية الإسلامية متماسكة ولا تتزعزع، رغم كل المؤثرات الخارجية وحتى الداخلية ليصل إلى أن اكتشف هذا الأمر ألا وهو القرءان الكريم وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فأخذ يبحث عن منفذ يستطيع من خلاله التوصل إلى تشتيت هذه الأمة وتمزيق أواصرها بعد أن فشلت محاولات غزو الأجساد فتوجهوا لغزو الأفكار[1] ولهذا سلكوا طريقين:

1) غزو الفكر الذي يمثل عقائد الأمة المغزوة ومفاهيمها ومبادئها.
2) غزو السلوك النفسي والظاهر، الذي هو تعبير حركي عن عقيدة الإنسان، ومفاهيمه ومبادئه[2].

ولأن التناقض في داخل الإنسان أو النفس الواحدة يحدث ازدواجا متصارعا وينتج عنه القلق، وعدم الارتياح ومن هنا كان التعليم أداة جيدة للوصول لتحقيق أهداف الغرب ولأجل ذلك أنشئت المدارس التبشيرية: وهي المعهد أو المدرسة أو المركز التعليمي أو روضة الأطفال التي ينشئها ويمولها أشخاص أو مؤسسة من المؤسسات الأجنبية الموجودة في تلك الدولة بقصد التربية والتعليم والتثقيف، وفقا لمناهج وإشراف تربوي أجنبي وتمنح شهادات بلد

([1]) يقول شاتليه: "إن إرساليات التبشير الدينية التي لديها أموال وفيرة وتدار أعمالها بتدبير وحكمة، تأتي بالنفع الكثير في البلاد الإسلامية من حيث أنها تثبت الأفكار الأوروبية" ثم يقول "ولا شك في أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية، تعجز أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس معتنقيها، ولا يتم ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية... وتقضي إرساليات التبشير كتابتها عن هدم الفكرة الدينية الإسلامية" انظر كتاب: محمود محمد شاكر: أباطيل وأسمار، ج1، د ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2005، ص ص 151،152.

([2]) عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، ط8، دار القلم، دمشق، 2000، ص43.

المنشأ التي هي امتداد له وهذه المدارس منها ما يتبع الكنائس وتحمل اسمها ومنها ما يتبع مؤسسات أو أفراد[1].

2-1-2-جذورها التاريخية:

وللحديث عن المدارس التبشيرية لابد من العودة إلى بدايات التبشير الأولى أو بدايات التنصير بمعنى أدق ،في منطقة المشرق العربي خاصة باعتبار أن المدرسة هي إحدى وسائله الهامة، ولأننا تحدثنا عن الجذور التاريخية للتبشير في الفصل الأول، فإننا سنحاول التركيز على المراحل الأولى في إنشاء المدارس، وذلك بعد أن تأكد المبشرون أنها الطريقة الوحيدة والفعالة في تشتيت صفوف المسلمين فوضعوا قاعدة لهم تقول "إذا أرهبك سلاح عدوك فأفسد فكره ينتحر به[2]"، انطلاقا من هذه القاعدة بدأ المبشرون ينخرون ويتسللون إلى عقول المسلمين خاصة الناشئة منهم باعتبارهم عماد الدولة، فأنشئت أول مدرسة تبشيرية في عهد سليمان القانوني في القرن السادس عشر (16م) بامتياز خاص منحه لملك فرنسا فرانسوا الأول[3].

وقد درست فيها التعليم الديني وتنشئة رجال الدين ولم يكن لها الدور الفعال في الجانب العلمي، والثقافي حتى أواخر القرن الثامن عشر(18م) حيث عرف العلم تطورا ملحوظا في أوروبا ،إضافة إلى الثراء الذي ظهر على طائفتي الروم الأرثوذكس والأرمن نتيجة نشاطهم التجاري، فقد قام أمير البغدان ألكساندر إسلاتتي بك عام 1776م بإجراء تغييرات في مناهج التدريس والمدرسين في المدارس، التي تركز على التعليم الديني في بوخارست وياش، ووضع بذلك اللبنات الأولى لتعليم يتبع المنهج الحديث وبعد هذه الخطوة

([1]) عبد العزيز بن أحمد البداح: المدارس الأجنبية في الخليج، رسالة ماجستير، قسم الأديان والمذاهب، جامعة الأزهر، د س، ص142.

([2]) عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: المرجع السابق، ص24.

([3]) أكمل الدين إحسان أوغلي: المصدر السابق، ص590.

الإصلاحية الأولى قام أثرياء الروم من أهل حي الفنار في أسطنبول بتأسيس مدرسة على هذا النوع عام 1803م عرفت باسم Helleno Philosophisical School في عهد سليم الثالث[1] لتبدأ موجة انتشار المدارس التبشيرية في بلاد المشرق من طرف المبشرين، فقد أنشئوا عدة مدارس ومعاهد، وكليات في كل من سوريا وحلب ولبنان وصيدا وغيرها، وكان هؤلاء المبشرين يتألفون من فئتين الكاثوليك وجلهم فرنسيين، والبروتستانتيون ومعظمهم أمريكان، ففي عام 1834م فتح الكاثوليك مدرسة عين طورة وأيضا في دير القمر وزحلة، كما أنشأ البروتستانت مدرسة سوق الغرب وهي مدرسة للبنات عام 1858م،و قد بلغ عدد المؤسسات التربوية التي فتحتها الأنجيلية الأمريكية (البروتستانتية) في لبنان في الفترة الواقعة ما بين 1820-1860م لا يقل عن 33 مؤسسة تربوية[2].

وتذكر بعض المراجع أن المدارس التي أقامتها الجماعات التبشيرية الأجنبية في الدولة العثمانية قدرت ب675 مدرسة أمريكية و500 مدرسة فرنسية، وقد بلغ عدد طلاب هذه المدارس حوالي 100 ألف طالب[3].

وعلى الرغم من هذه الأعداد الكبيرة للمدارس التبشيرية في منطقة المشرق العربي، غير أن المؤرخين يجمعون على أن أكبر هذه المؤسسات التربوية تتلخص في مؤسستين هما: الكلية السورية البروتستانتية التي أصبحت فيما بعد نواة الجامعة الأمريكية في بيروت سنة 1866م وجامعة القديس يوسف سنة 1874م في بيروت والتي كانت على نفقة الحكومةالفرنسية،فتغيرت لغة التدريس بها من اللغة العربية إلى الفرنسية[4].

([1]) أكمل الدين إحسان أوغلي:المصدر السابق، ص591.

([2]) علي معطي: تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي 1908-1918م، ط1، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، لبنان، 1992، ص19.

([3]) زينب أبو سنة: تركيا الإسلامية الحاضر ظل الماضي، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2006، ص126.

([4]) هشام سوادي هاشم: تاريخ العرب الحديث 1516-1918م، دار الفكر، الأردن، 2010، ص102.

ومن الملاحظ أن هذه المدارس كانت في تطور مستمر، حسب الأوضاع الداخلية لمنطقة المشرق خاصة، وأيضا التغييرات والتطورات التي عرفتها دول أوروبا بصفة عامة، والجدير بالذكر أن بلاد الشام لم تحظى بكثير من الاهتمام من ناحية التعليم من جانب الدولة العثمانية إلا أنها انفردت دون غيرها من الولايات العربية بنشاط تعليمي وثقافي واسع النطاق على يد المؤسسات التبشيرية[1]. ويرجع المؤرخون ذلك لعدة عوامل منها: كثرة عدد النصارى في بلاد الشام وكانت معرفتهم بإحدى اللغات الأجنبية سواء كانت الفرنسية أو الإنجليزية وأيضا معرفتهم بالعادات المحلية أمرا ذا أهمية لأنه ييسر لهم أعمال الوساطة أو السمسرة، والترجمة وغيرها إضافة إلى ارتفاع مستواهم المادي والثقافي، وكان نصارى بلاد الشام أوثق اتصالا بأوروبا من العرب المسلمين مما سمح لهم لعب دور الوسيط بين الغرب الأوروبي والأمريكي وبين العرب المسلمين[2].

ومن الملاحظ أيضا أن هؤلاء المبشرين _المنصرين _ استخدموا عدة أساليب منها الأسلوب الشامل ويعني استغلال المؤسسات التعليمية التي خططوا لإنشائها في بلاد المشرق العربي، ودعوا إلى تحسين آدائها حتى تنجز الأهداف التي أسست من أجلها[3].

ولكن السؤال الذي قد يتبادر للأذهان هو لماذا اعتمد المنصرون أكثر على الجانب العلمي في دس سمومهم في أواسط الشعوب الإسلامية؟ يقول أحد الباحثين في مجال التاريخ وهو الدكتور جابر قميحة أن السبب يعود لعدة نقاط هي: الأولى أن التعليم في ظاهره عملية حضارية لتثقيف العقول وإخراجها من الجهل ،ولا تختلف الأديان فيه ومن ثمة لا يكون هدفا للنقد، أو المنع أو التعويق، والثانية أن التعليم وبسبب المساحة الزمنية التي

([1]) محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914م،د ط ، مكتبة الأنجلو مصرية، دس ، ص218.
([2]) عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص ص 93،94.
([3]) محمد عمارة: إستراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، ط1، مركز دراسات العالم الإسلامي، 1992م، ص218.

ونفس الشيء تقريبا للمدارس المسيحية إلا أنها –المدارس التبشيرية – كانت عكس ذلك فهي عملت على نقل الطالب من مذاهب مختلفة إلى مذهبها هي، ويقول جسب "إن المدارس شرط أساسي لنجاح التبشير وهي بعد هذا واسطة لا غاية في نفسها"[1]، ولأجل ذلك يفقدها الصفة التبشيرية وقد اعتمدت على منهج موحد في معظم البلاد الإسلامية، فقد سهل هذا الأمر على الذين أقاموا هذه المدارس في توجيه النشء وجهة خاصة حيث كانت الكتب المستعملة بها مليئة بتمجيد الدول والأمم والأديان الغربية مع معلومات خاطئة عن الإسلام والعرب المسلمين، وعن اللغة العربية والتاريخ حتى كان أغلب خريجي هذه المعاهد يعرفون عن الأديان الأخرى كل شيء ولا يعرفون عن دينهم شيء"[2].

وكمثال عن ذلك نذكر مدرسة سوتش الأمريكية التي كان مقرها الإسكندرية بمصر، وهي مدرسة مشتركة للبنين والبنات ومدة التدريس بها اثني عشرة (12) سنة وكان يقوم بالتدريس فيها أعضاء الإرسالية الأمريكية أنفسهم، وكانت المواد الدراسية التي تقدم فيها هي نفسها المستخدمة في أمريكا، وكان يغلب عليها الطابع الديني المسيحي، ولغة الدراسة كانت الإنجليزية[3].

([1]) مصطفى خالدي وعمر فروخ: المرجع السابق، ص67، لمزيد من المعلومات أنظر: عبد الجليل شلبي: الإرساليات التبشيرية، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، د س، ص ص 161-164.

([2]) أنور الجندي : العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقفي، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م، ص340.

([3]) خالد محمد نعيم: المرجع السابق، ص ص 96،97.

كما استطاعت هذه المدارس غرس الإعجاب بحضارة الغرب فتمكنت من جذب العديد من أبناء النصارى وخاصة أبناء المسلمين الذين لاحظوا فيها نوعا أرقى عندما قارنوا بينها وبين المدارس الحكومية الوطنية في بلادهم من حيث النظم التعليمية والتربوية[1].

2-2-2-أساليبها ووسائلها:

ولتعميق الهوة بين المسلم ودينه وتقاليده ،ولغته ووطنه استخدمت هذه المدارس مختلف الوسائل والأساليب نذكرها كالآتي:

أولا:العنصر البشري

- الطفل والشاب:

حيث اهتمت ببناء دور للروضة في مختلف المناطق التي حلت بها باعتبار الطفل صفحة بيضاء، حيث أن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ مبكرا جدا من أجل ذلك يجب أن يحمل الأطفال الصغار إلى المسيح، قبل بلوغهم الرشد وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية[2].

ولذلك وجدوا في الأطفال اليتامى فضاءً واسعا لنشر مبادئهم الخبيثة، وأيضا عنوا بالأطفال الفقراء فكانوا يحسنون إليهم لاستمالة قلوبهم نحو الدين المسيحي[3].

([1]) كرم شلبي: الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب، ط1، مكتب التراث الإسلامي، القاهرة، 1991م، ص49، للمزيد من المعلومات انظر: أنور الجندي : أخطاء المنهج الغربي الوافد، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1974م، ص423.

([2]) عبد الودود شلبي: المرجع السابق، ص83.

([3]) محمد بن ناصر الشثري: التنصير في البلاد الإسلامية، ط1، دار الحبيب، الرياض، 1998م، ص ص 30،31.

ولم يكتفوا بذلك بل استعملوا الشباب باعتبارهم عماد الأمة وقوتها، فأنشئوا المدارس بأطوارها والجامعات والمعاهد، وسخروا سبل الراحة في التعليم كالرحلات والموسيقى والأناشيد حيث يعلن بعض المؤسسين لتلك المؤسسات بصراحة عن غاياتهم الحقيقية من تأسيسها وهي أنها وجدت لـ' تعلم الحقائق الكبرى التي في التوراة وأن تكون مركزا للنور المسيحي وللتأثير المسيحي"[1].

- المرأة:

وباعتبار المرأة أساس الأسرة المسلمة وتمثل نصف المجتمع فلم تكن بعيدة عن شبكة المبشرين فبدءوا بتأسيس مدارس للبنات، خاصة في الإسكندرية التي أنشئت بها أول مدرسة للبنات عام 1856م وكانت الدراسة بها مجانية تشرف عليها جمعية تبشيرية نسائية وبها مدرسة واحدة هي المنصرة مس برنجل [2]، وهتفوا بفتح المدارس الداخلية لأن فرص التأثير بها أكبر، وشجعوا التعليم المختلط ويقول نفرض للمبشرين "بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها –ذكورا وإناثا– حتى السنة العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية، وبما أن النساء هن العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات، على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتحويل البلاد الإسلامية إلى مسيحية..."[3].

([1]) أمل عاطف محمد الخضري: التنصير في فلسطين في العصر الحديث، رسالة ماجستير ، قسم العقيدة الإسلامية، الجامعة الإسلامية، غزة، 2004، ص170.

([2]) خالد محمد نعيم: المرجع السابق، ص95، أنظر أيضا محمد الغزالي: صيحة تحذير من دعاة التنصير، ط1، دار الصحوة للنشر، القاهرة، 1991م، ص ص 130،131.

([3]) عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: المرجع السابق، ص73، ولمزيد من المعلومات أنظر: فاطمة هدى نجا: المستشرقون والمرأة المسلمة، د ط، دار الإيمان، 1991م، ص ص 17-30،32.

وقد استغل المبشرون الجانب العددي للنساء واستطاعوا النيل منها من خلال ستار العلم الذي لا يمكن لأحد أن يتفقده خاصة أنه فرض على المرأة كما فرض على الرجل في الدين الإسلامي، ويكفي أن نقارن في حديث القرءان الكريم عن مساواة المرأة بالرجل في قوله تعالى " **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** "[1]، وبذلك حاولوا نشر فكرة أو دعوة حقوق المرأة التي اقترنت بنهضة الغرب فاستغلت المرأة في هذا المجال كثيرا"[2].

- المعلم:

ولجعل كل هؤلاء طوع أمرهم كان لابد من اختيار ملقن أو بالأحرى مدرس له القدرة على الإقناع وقدر هائل من الخبث، لذلك كان من الضروري اختيار المعلم الذي تتوفر فيه الصفات التالية:

1- لا يكفي أن يكون مسيحيا فحسب بل يجب أن يكون مسيحيا من كل قلبه.

2- أن يطبق الحياة المسيحية في مبادئه الاجتماعية والسياسية والدولية لذا كان المعلم الأجنبي أحسن من المعلم الوطني[3].

3- أن يكون دارسا للتاريخ الإسلامي وما فيه من الأحداث التي وقعت بين المسلمين فيما بينهم.

([1]) سورة البقرة الأية 228.

([2]) محمد عمارة: الغزو الفكري وهم...أم حقيقة، د ط، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية، الإسكندرية، 2003، ص194.

([3])عبد الودود شلبي: المرجع السابق، ص84.

4- وأيضا دارسا للفرق والمذاهب الإسلامية وعلى وجه الخصوص الطرق الصوفية حتى يستطيع الحديث مع المسلمين وهو على دراية بهذه الأمور.

5- أن يكون دارسا للقرءان الكريم والأحاديث النبوية خاصة الضعيفة منها، ليستعملها ضد الإسلام ونبيه[1].

وبخصوص مواد التدريس بهذه المدارس كانت ترتكز على تلقين مبادئ النصرانية عن طريق السؤال و الجواب فمثلا:

س: من هو يسوع المسيح؟ ج: يسوع المسيح ابن الله تأنس من أجلنا[2]

لكن و مع مرور الوقت سمحت الكلية العلمانية في بيروت بمدرس(معلم) مسلم واحد، وأيضا الجامعة الأمريكية في بيروت دائما سمحت لعدد من المدرسين المسلمين ، الذين كانت تختارهم من أبناء الأسر المعروفة ، ولا حاجة لنا إلى القول أن هؤلاء المدرسين لم يكونوا يعاملون من حيث الراتب والرتبة كغيرهم من الغربيين. حيث بلغ عدد المدرسين حوالي أربعمائة وسبعة عشر ألف مدرس (417000)[3].

ثانيا: العنصر المادي

- الكتاب:

ولتثبيت أفكارهم الدنيئة كان لابد من وجود وعاء يصبون فيه كل سمومهم الحسنة المظهر، فلم يجدوا أحسن من الكتاب فكان الوسيلة التي ساعدتهم على نشر نواياهم اتجاه العالم العربي الإسلامي، لذلك اهتموا به كثيرا فقد استثمر مثلا المبشرون الأمريكان جهود

([1]) أحمد سعد الدين البساطي: التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية، د ط، دار أبو مجد للطباعة، القاهرة، 1989، ص ص 229،230.

([2]) عبد العزيز بن إبراهيم العسكر: المرجع السابق، ص49.

([3]) عبد الودود شلبي: المرجع السابق، ص81.

عالمان هما: ناصيف اليازجي[1] وبطرس البستاني[2] فعهدوا إليهما بتأليف كتب مدرسية مختصرة في شتى المواضيع وما كادا يتما تأليف هذه الكتب وإقرارها حتى يطبعونها في مؤسساتهم ويوزعونها في مختلف أنحاء البلاد.

وقد تم تأليف العديد من الكتب النصرانية بأساليب مختلفة حتى تتناسب مع مختلف العقول من حيث السن -الكبير والصغير- وأيضا من حيث الجنس - ذكرا أو أنثى- ومن بين هذه الكتب نذكر: كتاب "تاريخ التبشير" لأودين بلس البروتستانتي وجاء في فصله السادس: "أن السلطة الإسلامية في مصر اسمية فقط" وجاء فيه أيضا أنه تكونت عدة جمعيات تبشيرية في أرض التوراة العثمانية[3]، وأيضا كتاب فلمنج بعنوان "وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين" حيث تحدث في الفصل الرابع عن ضرورة إنشاء مدرسة جامعة نصرانية وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية... لتتمكن من مزاحمة الأزهر[4].

وأيضا كتاب زعيم المبشرين صموئيل زويمر تحت عنوان "طرق العمل التبشيري في المسلمين" ومما جاء فيه:"لنجعل هؤلاء القوم المسلمين يقتنعون في الدرجة الأولى بأننا نحبهم، فنكون قد تعلمنا أن نصل إلى قلوبهم..."[5]، وهناك كتاب آخر يجدر الإشارة إليه هو

([1]) ناصيف اليازجي: من مواليد 1800 م بجبل لبنان، تلقى في طفولته التعليم الرسمي الجاف، ولكن شغفه للتعلم جعله لا يكتفي بذلك، فقد توجه إلى المخطوطات المتوفرة بالأديرة، وقد تميز بقوة ذاكرته، واتصاله المباشر بالمكتبات جعله يكتشف أعماق الأدب العربي القديم وحبه لذلك جعله الرسول الداعي لإحيائه، وقد تقلد عدة مناصب منها: سكريتير لكبير من رجال الدين وديوان الأمير بشير حاكم جبل لبنان المطلق، وهنا شاعت شهرته في اللغة العربية مما جعل الأمريكان يتصلون به من أجل تأليف كتب في هذا الاختصاص، وتوفي 1871م، وهو لا يتقن سوى اللغة العربية، انظر: جورج أنطونيوس: المرجع السابق، ص ص 109-111.

([2]) بطرس البستاني: ولد عام 1819م، كان أيضا عربيا نصرانيا من جبل لبنان، ولكنه يختلف عن اليازجي كونه تلقى أحسن ضروب التعليم آنذاك، وتعلم لغات أخرى غير العربية، وقد اعتنق المذهب المشيخي، ومنذ ذلك الحين ارتبطت جهوده بأعمال البعثة التبشرية، ومن أعماله معجم اللغة العربية في مجلدين عام 1870م تحت عنوان "محيط المحيط" ودائرة المعارف، وأسس مدرسة سماها "المدرسة الوطنية" والتي درس فيها اليازجي اللغة العربية، ثم أنشأ صحيفة سياسية أدبية نصف شهرية تحت اسم "الجنان"، وكان شعارها حب الوطن من الإيمان. توفي في إحدى غرف دائرة المعارف إثر سكتة قلبية عام 1883م. انظر: المرجع نفسه، ص ص112-116.

([3]) سلمان سلامة عبد المالك: أضواء على التبشير والمبشرين، ط1، مطبعة الأمانة، أسيوط، 1994م، ص ص94،95.

([4]) أحمد عبد الوهاب: حقيقية التبشير بين الماضي والحاضر، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1981م، ص169.

([5]) أحمد سعد الدين الباسطي: المرجع السابق، ص229.

"تاريخ محاضرات ج.إيزاك" حررها ألبا للشرق الأدنى وهو، مخصص لطلبة الصف الخامس وقد طبعته مطابع الآداب الفرنسية في بيروت وجاء في الصفحة 31 منه: "واتفق لمحمد في أثناء رحلاته أن يعرف شيئا قليلا من عقائد اليهود والنصارى، ولما أشرف على الأربعين أخذت تتراءى له رؤى أقنعته أن الله اختاره رسولا"، وفي الصفحة 32: "والقرآن مجموع ملاحظات كان تلاميذه يدونها بينما كان هو يتكلم"، أما الصفحة 36: "بينما كان محمد يعظ كان المؤمنون يدونون كلماته على عجل"[1].

إضافة إلى كتاب ميشنيزور كواي وهو "البحث عن الدين الحقيقي" والذي عاش فترة طويلة في المدارس المسيحية في الشرق والغرب، وجاء في ص220: "الإسلام في القرن السابع للميلاد برز في الشرق عدو جديد ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة... لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق...ولكن ها هي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سدا في وجه سير الإسلام... وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق الساذجة"[2].

ضف إلى ذلك كتاب آخر هو "وجهة الإسلام" للمستشرق هاملتون جب وأربعة معه وهذا الكتاب يكشف عن مخطط خطير يقوم به الاستشراق والتبشير ويرمي إلى تغريب الأمة الإسلامية[3].

([1]) مصطفى خالدي وعمر فروخ: المرجع السابق، ص74.

([2])محمد البهي: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، د ط، مطبعة الأزهر، د س، ص08. لمزيد من المعلومات انظر: عبد الجليل شلبي: معركة التبشير والإسلام، ط1، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، 1989م، ص ص 281،282.

([3]) أنور الجندي: تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة، د ط، دار الاعتصام، القاهرة، د س، ص35.

- المنح والمباني أو الهياكل:

كما استخدمت أداة أخرى من طرف المدارس التبشيرية لتشجيع الالتحاق بها وهي المنح المدرسية والتي كانت وسيلة متخفية، ذلك أن بعض المنظمات التبشيرية تختار من النجباء فترسلهم إلى الجامعات العليا وترعاهم بالمنح المباشرة[1].

كما نجد معروضا ماسونيا روتاريا جديدا اسمه بعثات السلام، وقد أعلنت عنه مجلة الروتاري:

"منحة من جورجيا لطالب من مصر لمدة سنة"، والإعلان عن المنشور اشتمل ثلاث رموز ماسونية هي: - رسم اليدين المتصافحتين.

- السنبلة.

- رأس إنسان بشكل شمس مشعة.

ولا تفسير لاشتمال الإعلان عن هذه الثلاثية الماسونية إلا أن هناك ثلاثة جمعيات ماسونية لكل منها شعار من الثلاثة اتفقت فيما بينها على تنظيم هذه المنح والإنفاق عليها[2].

إضافة إلى أن هذه المدارس كانت تحتل أهم المناطق وأجملها وتمتلك مباني فخمة[3].

وأيضا يجب دراسة المواقع الجغرافية لهذه المباني الضخمة المتمثلة في: المدارس والكليات مثل كلية الجامعة الأمريكية بالقاهرة توجد في منطقة عمرانية في ميدان التحرير

([1]) عبد العزيز ابراهيم العسكر: المرجع السابق، ص50.

([2]) جابر قميحة: أعداء الإسلام ووسائل التضليل، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2002، ص ص 159،160.

([3]) كرم شلبي: المرجع السابق، ص 49.

وكل الطرق توصل إليها، والمسافة بين الجامعة الأمريكية ودار الكتب بباب الخلق بضع خطوات[1].

وعلاوة على ذلك أن هذه المدارس كانت تتربع على مساحات كبيرة ومزودة بمكتبة وأقسام داخلية في بعض المدارس كمدرسة أسيوط للبنات لإقامة البنات المغتربات[2].

المبحث الثالث:أهدافها ومن يقف ورائها...

2-3-1-الأهداف:

في الحقيقة لم نجد في هذا المبحث كتمهيد له أحسن من آيات بينات من الكتاب المحفوظ لقوله تعالى: **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ "[3].**

ومن هذه الآية الكريمة نستنتج هدف هذه المدارس التبشيرية ومحاولة تحقيق ذلك ويمكن أن نتحدث عنها في نقاط متعددة نذكر منها:

أولا: إنشاء أجيال من المسلمين تتحلل من دينها عقيدة وسلوكا وأخلاقا وولاء، وتتحلل من أمتها ولاء وارتباطا وتقتبس السلوك الفردي والاجتماعي الذي يدربها عليه المعلمون المبشرون، وتتنصر أو تكون ملحدة، أو علمانية لا

([1]) ابراهيم خليل أحمد: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، د ط، مكتبة الوعي العربي، الفجالة، 1964م، ص ص 54،55.

([2]) خالد محمد نعيم: المرجع السابق، ص100.

([3]) سورة البقرة: الآية 120.

تهتم بالدين ولا بأية قضية ذات صلة به، ويكون ولاؤها للدولة الاستعمارية التي تنتمي لشعبها المدرسة التبشيرية[1].

ويرى بعض المبشرين: "أن المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرى ثم إن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون في يوم ما قادة في أوطانهم"[2].

ثانيا: تنصير جميع المسلمين، وطي صفحة الإسلام من الوجود حيث جاء على لسانهم "إن هدفنا هو غرس روح المسيح وتعاليمه في الفكر الإسلامي والحياة الإسلامية، وبهذه الطريقة تصبح عملية التبشير مثل الخميرة التي تعمل داخل الكيان كله لتمكن الروح النصرانية وتعاليمها من إحداث التغيير الطبيعي"[3]. وذلك من خلال التشكيك في دينهم وأيضا نسبوا إلى الله عز وجل أن له ولدا وأن الإله عندهم ثلاث: الله عز وجل وسيدنا عيسى، والسيدة مريم هذه هي المهمة التي يحملونها في محافظ أيديهم، وحفائض نفوسهم، وقلوبهم وأفكارهم[4].

ولكن الله في محكم تنزيله يقول:" **وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً (4) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً** "[5].

([1]) عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: غزو في الصميم، ط1، دار القلم، دمشق، 1982م، ص24.
([2]) المرجع نفسه، ص26.
([3]) محمد عمارة: الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين، د ط، دار الوفاء، د س، ص ص 21-24.
([4]) عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة، المرجع السابق ، ص41.
([5]) سورة الكهف: الآيتين 04-05.

وكذلك شككوا في شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأن القرآن من تأليفه ونتيجة تجاربه، ولكن الله عز وجل يقول: " **بَلْ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (19) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (20) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ** "[1].

وهناك رد من بني جلدتهم ذلك على لسان جان دوابنورت حينما ألف كتاب بعنوان "اعتذار لمحمد والقرآن" أين اعتذر فيه عن التصورات والأحكام التي كانت شائعة في الغرب حول نبي الإسلام والقرآن الكريم، وأيضا نجد اللورد البريطاني المسلم هدلي[2] يوضح: "أن مُذهِبي وناسبي هذه الافتراءات لم يتملوا حتى أولا: مبادئ دينهم، وإلا لما استطاعوا أن ينشروا في جميع أنحاء العالم تقارير معروف لديهم أنها محض كذب واختلاق"[3].

ثالثا: العمل على ارتداد المسلمين عن دينهم وإلا فليس أقل من أن يخرجوا من الإسلام ويؤكد ذلك القس صموئيل زويمر بقوله:"ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية، لأن في هذا هداية لهم وتكريما، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله"[4].

رابعا: من أهم أهداف التبشير تغريب المجتمع الإسلامي وللقضاء على وحدة الأمة الإسلامية بما يحول دون عودة الخلافة الإسلامية وتعميق مفهوم الأقليات والقوميات والتعليم الوافد هو الخنجر المسموم الذي طعنت به الأمة[5].

([1]) سورة البروج: الآيات 19-22.

([2]) اسمه الكامل: سيف الرحمن فاروق هدلي (مستشرق)، توفي بلندن 1935م، تخرج من جامعة كامبردج، اشتغل بالتعليم والصحافة والهندسة، لم يدخر جهدا في سبيل نشر الإسلام. انظر شوقي أبو خليل: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، ط1، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1998م، ص13.

([3]) المرجع نفسه، ص14.

([4]) أكرم كساب: التنصير مفهومه، جذوره، أهدافه، د ط، مركز التنوير الإسلامي، د س، ص158.

([5]) أنور الجندي: أهداف التغريب في العالم الإسلامي، د ط، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية، د س، ص14.

ويقول المبشر لورانس براون:"إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا، وأمكن أن يصبحوا نعمة أيضا، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير"[1].

خامسا: إثارة النعرات الإقليمية، والقومية، والعصبية وإحياء التاريخ القديم السابق للإسلام[2].

سادسا: شغل أبناء المسلمين بالفلسفات الفكرية المتناقضة المتعارضة وغمسهم في صراع المبادئ الاجتماعية لقتل طاقاتهم الفكرية[3].

سابعا: السيطرة السياسية والتوسع الاستعماري باعتبار أن كل منهما يخدم الآخر حيث أن الاستعمار يكون حاميا للمدارس التبشيرية وهذه الأخيرة تمهد للاستعمار في البلاد[4].

ثامنا: الحيلولة دون انتشار الإسلام فالمبشرون يشنون هجومهم على الإسلام خوفا على قومهم من معرفته أكثر من رغبتهم في التبشير، فهم يخافون الإسلام ويرددون دائما أنه الركن الوحيد الخطر عليهم[5].

([1]) محمد البهي: المرجع السابق، ص06.
([2]) أنور الجندي: أهداف التغريب في العالم الإسلامي، المرجع السابق ،ص15.
([3]) محمد بن ناصر الشثري: المرجع السابق، ص19.
([4]) عبد الرحمن بن عبد الله الصالح: التنصير تعريفه، أهدافه ووسائله حسرات المنصرين، د ط، المختار الإسلامي، ص09.
([5]) أحمد عبد الله سيف الرفاعي: التنصير يغزو العالم الإسلامي، د ط، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، د س، ص47.

تاسعا: ضرب أهم مقومات العالم العربي ألا وهي اللغة العربية وهي لغة القرآن، لهذا عملوا على محو هذه اللغة تدريجيا في صفوف الناشئة وتحريفها عن المعاني الحقيقية والأصلية واستبدالها بمعاني متفق عليها[1].

ومن الذين دعوا إلى عدم التخلي عن اللغة العربية الفصحى بطريقة لينة نجد جورج الكفوري[2] الذي دعا إلى تسهيل اللغة الفصحى حيث يقول: "ومتى سهلت اللغة و أصبحت في متناول السواد الأكبر من الشعب أصبح من اليسير إحلالها مكان العامية"[3].

غير أن أصحاب المنهج العلمي الغربي الوافد من حيث أنهم عجزوا عن استيعاب اللغة العربية ومعرفة وجوه تميزها عن اللغات الأخرى، فهم أيضا لم يكونوا صادقي النية في التعرف، وإنما كانوا على هوى ومطمع وخصومة في محاولة هدمها وتحطيمها وإعلاء العامية عليها، فمنذ اليوم الأول لاتصالهم باللغة العربية كانوا على حرص شديد على العاميات ودراستها، ومحاولة إيجاد جذور لها، من الأمثلة والأغاني حتى يقولوا أن العامية لغة لها تاريخ وتراث، وأنها سبقت العربية أو حاذتها[4].

والجدير بالذكر في هذا المقام ما يقترحه أنيس فريحة[5] في كتابه (تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد) أي على العرب أن ينتقلوا إلى الكتابة في العامية بالحرف

([1]) عبد الجليل ريف: الكاروز التنصير في بلاد المسلمين، د ط ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة، د س، ص96.
([2]) جورج كفوري: مدير الدروس العربية في الكلية العلمانية الفرنسية ببيروت سابقا، وله كتاب قيم بعنوان اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها. انظر: مصطفى خالدي وعمر فروخ: المرجع السابق، ص225.
([3]) المرجع نفسه، ص225.
([4]) أنور الجندي: أخطاء المنهج الغربي الوافد، ص ص 256،257.
([5]) أنيس فريحة: أحد أساتذة التاريخ واللغات السامية في الجامعة الأمريكية ببيروت.

اللاتيني، بهدف تسهيل القراءة وتخفيضا لنفقات الطباعة... وقد وضع كل من الأستاذين مصطفى خالدي وعمر فروخ ملاحظات[1] حول هذا الاقتراح[2].

عاشرا: هدم الإسلام عن طريق السيطرة على قلب المرأة المسلمة وهو أقصر طريق لذلك، من خلال دفعها إلى الانحلال الخلقي من حيث السلوك والفكر بحيث تقول إحدى المبشرات: "لا سبيل إلا بجلب النساء للمسيح، إن عدد النساء المسلمات عظيم جدا... فكل نشاط مجد للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن..."[3].

إحدى عشر: خلق أتباع يكونون أداة لحماية مصالح الغرب بعد انهيار الدولة العثمانية وهو ما يمكن أن يطلق عليه "الأقلية المصطنعة"[4].

اثني عشر: ضرب القيم والنظم الإسلامية كتشويه أحكام القصاص وأحكام الحدود (قطع يد السارق ورجم الزاني) وإظهارها بمظهر الوحشية والتعارض مع مظاهر الحضارة المعاصرة والمدنية[5].

([1]) يقول الأستاذان مصطفى خالدي وعمر فروخ عن هذا الاقتراح جديد قديم وله قسمان: الأول له صلة بالتبشير، والثاني يتعلق بالاقتراح من حيث هو اقتراح، والملاحظات في هذا المقام أي الدعوة إلى العامية والحرف اللاتيني معناها:

- خلق مشكلة لا حل مشكلة، وقطع حاضر العرب ومستقبلهم وماضيهم.
- تنفيذ لمآرب تبشيرية استعمارية.
- أن كثير من كتاب فريحة لاصلة له بتبسيط العربية على الإطلاق كجداول ضمائر الإشارة مثلا لأنه يقترح لأسماء الإشارة ص33-34 عددا أكبر من العدد الذي تثبته كتب النحو المدرسية، لأنه يريد أن يبرز أشكالا كثيرة لهذه الضمائر كما يسميها هو. انظر: محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د ط ، دار المعارف، القاهرة، د س، ص29.

([2]) مصطفى خالدي وعمر فروخ: المرجع السابق، ص226.

([3]) عبد الودود شلبي: المرجع السابق، ص90.

([4]) كمال السعيد حبيب: الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (622م-1908م) (1هـ-1325هـ)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002، ص442.

([5]) عبد الجليل ريف: المرجع السابق، ص102.

ثلاثة عشر: الإغراء بتعاليم التبشير ومحاولة إقناع المسلمين بفضلها وفاعليتها ومواكبتها لروح العصر، على أساس الزعم بأن لها صلة بالتفوق المدني والعلمي والأدبي[1].

2-3-2- من يقف ورائها...؟

لقد شكلت المدارس التبشيرية في بعض المناطق من المشرق العربي عنصر ممهد لوجود الاستعمار فهاتان الآليتان وجهين لعملة واحدة فكلاهما خدم الطرف الآخر كما ذكرنا سابقا حيث عملت الدول الاستعمارية على تخصيص أموال كثيرة في ميزانيتها لصالح هذه المدارس، فقد جاء في إحدى مجلات التبشير (مجلة الشرق المسيحي) أن إرساليات التبشير الإنجليزية والأيرلندية تنفق في السنة 2 مليون ومائة ألف جنيه وجمعيات التبشير الأمريكية والكندية تنفق 2 مليون جنيه، أما جمعيات التبشير الروسية تنفق 300 ألف من الجنيهات[2]، كما كانت تمولهم المؤسسات الدينية والسياسية والتجارية في الغرب، وكان أثريا أمريكا يحبسون أوقافا ومنحا لهذا العمل[3].

ومن الجهات التي كانت تساند هذه المدارس ماليا نجد الدول الاستعمارية ونذكر منها فرنسا التي كانت تخصص سنويا مليون و 200 ألف فرنك فرنسي وأيضا إيطاليا التي كانت هي الأخرى تخصص سنويا مليون فرنك، إضافة إلى أن مصاريف بعض المدارس الفرنسية كانت تتحملها وكالة البابا للدعاية والإعلام الخارجي باسطنبول، والبعثة الخارجية البابوية في

([1]) محمد بن ناصر الشثري: المرجع السابق، ص14.

([2]) سعد الدين السيد صالح: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ط1، مكتبة الصحابة، الإمارات، 1998، ص47.

([3]) ابراهيم خليل أحمد: المرجع السابق، ص79.

روما، و نتيجة هذا الدعم المادي الكبير أن أكثرت فرنسا من افتتاح المدارس المجانية فإلى جانب كل مدرسة ذات رسوم، كان يتم فتح مدرسة مجانية[1].

ويأتي هذا انطلاقا من روح التنافس الاستعماري التي سادت بين القوى الأوربية وأطماعها في ممتلكات الدولة العثمانية في الوسائل التبشيرية عن طريق الخدمات التعليمية والدعم المالي الهائل من الدول الأوربية[2] وقد نجد من يقف وراء هذه المدارس أشخاص ذوي نفوذ ورؤوس أموال مثل السياسيين والاقتصاديين وريع بعض الكنائس[3].

إذن تدفق الأموال على هذه المدارس من مختلف الجهات جعل القائمين عليها يعملون على تطويرها وانتشارها في مختلف مناطق المشرق العربي.

([1]) سلامة جرجس: تاريخ التعليم الأجنبي في مصر، د ط، المجلس الأعلى لرعاية الفنون، القاهرة، 1993م، ص129.

([2]) خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني: الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام 1327هـ/1909م، ط2، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 2003م، ص 213.

([3]) عبد الجليل شلبي: الإرساليات التبشيرية، المرجع السابق ، ص159.

الفصل الثالث:

موقف الدولة العثمانية من المدارس التبشيرية وآثارها

المبحث الأول: موقف الدولة العثمانية من نشاط المدارس التبشيرية.

المبحث الثاني: نماذج من المدارس التبشيرية في بلاد المشرق العربي.

المبحث الثالث: آثار المدارس التبشيرية في بلاد المشرق العربي.

المبحث الأول: موقف الدولة العثمانية من نشاط المدارس التبشيرية

لم تكن الدولة العثمانية قبل القرن 19م تشرف على أمور التعليم داخل البلاد العربية التابعة لها، ولا حتى داخل الأستانة نفسها، وتركت الإشراف والإنفاق عليه للأوقاف التي يرصدها أهل الخير والمحسنين، ولكن في القرن 19م اختلفت الأمور فقد بدأت التأثيرات الأوربية الغربية في الظهور، ولم يكن للدولة العثمانية أن تستمر على نهجها القديم في ترك أمور التعليم للأوقاف، فتدخلت وأخذت على عاتقها الإشراف عليه منذ النصف الثاني من القرن 19م[1].

وقد كانت الدولة العثمانية تمنح لكل طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية من غير المسلمين امتيازات خاصة في كل ما يتعلق بالشؤون الدينية ومنها شؤون التعليم والمدارس[2].

لهذا أولى المبشرون أهمية كبيرة للتعليم لأنهم وجدوا فيه خير وسيلة لتسيير نشاطاتهم الأساسية، فالتعليم مجال رحب لنشر الأفكار العلمانية، وإجراء عملية التحويل الثقافي، وبهذا يتم التوغل إلى عقول الناس ومد الجسور إلى الشبيبة، وكانوا يستهدفون من خلاله إعداد الزعماء للمجتمع الإسلامي ليكونوا أصحاب رأي في المسائل العالمية[3]. فلم تجد الجمعيات التبشيرية التابعة لدوائر الدول الغربية أي صعوبة في إقامة مدارس تبشيرية ابتدائية وثانوية، للبنين والبنات أيضا، وفي مختلف الولايات العربية في المشرق بصفة خاصة في المناطق التي تتجمع فيها الطوائف النصرانية، مثل لبنان من بلاد الشام، وشمالي العراق ومصر وتغلغلت أحيانا إلى أعماق الريف حتى أن بعضها أقامت مدارس دون أن تكلف نفسها عناء الحصول على موافقة الحكومة العثمانية، وغدا قسم منها خافيا عن رقابتها[4].

([1]) عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: المرجع السابق، ص283.
([2]) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ص594.
([3]) فاضل بيات: المرجع السابق، ص420.
([4]) عبد العزيز محمد عوض: المرجع السابق، ص177.

ويبدو أن الدولة العثمانية طالما غابت عن أنظارها الفعاليات التبشيرية في داخل الدولة، لأنها لم تول أي اهتمام بالمدارس التي أقامتها الدول الأجنبية – أي من قبل المبشرين– فلم تكن تتدخل في شؤونها بأي شكل من الأشكال، وقد انتعشت هذه المدارس انتعاشا كبيرا خاصة في عهد التنظيمات وأصبحت تمارس التدريس بحرية أكبر من ذي قبل مستغلة التسهيلات التي وفرتها لها الدولة العثمانية في هذا الخصوص، ومنها لغة التعليم فكان يحق لكل جماعة أن تعلم أبناءها باللغة الشائعة بينهم، كما أنها كانت تطبق نفس المناهج والكتب الدراسية المقررة في الدولة التي تتبعها[1].

وعموما تفطنت الدولة العثمانية بما يدور حولها من أخطار محدقة بها، والدور الفعال الذي لعبته المدارس التبشيرية في ظهور حركات سياسة مناهضة للدولة بين الرعايا غير المسلمين، ولعبت أيضا دورا مؤثرا في مناهضة مفهوم العثمانية واتحاد العناصر الذي تبنته الدولة العثمانية، وظهور تيار القومية العربية مما أدى إلى خروج العرب عن الدولة، إضافة إلى خدمة أغراض الدول الأوربية الغربية التي تتبعها ومصالحها الإستراتيجية في بلاد المشرق العربي[2].

وانطلاقا من هذا كله أعادت الدولة العثمانية النظر في كثير من الأمور المتعلقة بهذه المدارس، فقامت بالتصدي لها من خلال الإجراءات التالية:

أولا: إصدار مجموعة من الأنظمة والتعليمات التي تنظم المرافق، والمؤسسات، والنشاطات التي تقوم بها الجهات غير الحكومية أو الأجنبية في ولاياتها عامة، ومنها بلاد المشرق العربي، ففي عهد السلطان عبد العزيز سعت الدولة إلى اتخاذ بعض

([1]) أنظر هاشم بن خاطر عبد الرحمن البركي: الدور التغريبي لبطرس البستاني في دائرة المعارف العربية، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والثقافة، جامعة أم القرى، 2010، ص260.

([2]) أكمل الدين إحسان أوغلي: المصدر السابق، ص595.

الإجراءات بحق المدارس الأجنبية ضمن نظام إدارة المعارف الصادر سنة 1869م[1]، وكان الهدف من وضعه إقامة العديد من العراقيل أمام إنشاء المدارس التبشيرية ولاسيما الأمريكية[2].

ثانيا: وقوف السلطان عبد الحميد الثاني أمام المخاطر التي تهدد أمن الدولة العثمانية، وفيما يتعلق بالتعليم أمر بإنشاء مفتشية المدارس الأجنبية غير الإسلامية سنة 1886م، حيث غدت هذه الأخيرة معرضة للتفتيش من قبل مديري المعارف، أو ممّن يخولونهم في الولايات للوقوف على أوضاعها العامة، وسير عملية التدريس فيها، وتبليغ وزارة المعارف بكل ما يتعلق بذلك[3].

ثالثا: أرسلت الدولة العثمانية إلى ولاتها ومتصرفيها في الولايات العربية بالمشرق تحذرهم من السماح للأجانب بتشييد الأبنية المخصصة للعبادة، أو التعليم، أو الأعمال الخيرية دون الحصول على تصريح مسبق من الباب العالي، وعدم إعطاء التسهيلات للمبشرين والوقوف في وجوههم[4].

رابعا: إغلاق العديد من المدارس الأجنبية التبشيرية والتي لم تحصل على رخصة، إضافة إلى عدم التزامها بتطبيق المواد والبنود المتضمنة في نظام إدارة المعارف، وجل هذه المدارس هي مدارس أمريكية[5].

([1]) وضع هذا القانون عددا من الشروط التي كان لابد من توافرها قبل إنشاء أي مدرسة ومن هذه الشروط: 1- يجب الحصول على رخصة رسمية من إدارة المعارف والوالي قبل فتح المدرسة الخاصة. 2- يجب عرض جداول الدروس وكتب التعليم على إدارة المعارف كي لا تدرس في هذه المدارس دروس مغايرة للآداب والسياسة، وألزمتها بتدريس اللغة العثمانية (التركية) مادة مستقلة، لكن معظمها لم يدخل حيز التنفيذ. انظر: عبد العزيز محمد عوض: المرجع السابق، ص175.

([2]) عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: المرجع السابق، ص285.

([3]) فاضل بيات: المرجع السابق: ص421.

([4]) خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني: المرجع السابق، ص196.

([5]) المرجع نفسه، ص198.

خامسا: عملت الدولة العثمانية على زيادة الاهتمام بالتعليم الحكومي في بلاد المشرق العربي، وذلك في إطار مواجهة النشاط التبشيري بنشاط مشابه له خاصة في بلاد الشام على أساس كثرة المدارس الأجنبية فيها، فافتتحت العديد من المدارس ومن ذلك مدرسة صناعة ليلى للإناث في مواجهة المكتب الذي افتتحه الأمريكيون لتعليم الفتيات في صيدا، كما افتتحت المدرسة السلطانية في بيروت لتعليم اللغات العربية، التركية، الفرنسية، الحساب، الهندسة، الجغرافيا والقانون لمواجهة مد المدارس التبشيرية[1].

غير أن جملة التدابير المتخذة من طرفها تجاه المدارس التبشيرية ونشاطها إلا أنها لم تنجح في ذلك، لأنها لم تكن تملك القدرة على الاستمرار في هذه السياسة لأسباب عديدة، ومنها الأزمة المالية الحادة التي كانت تمر بها .

المبحث الثاني: نماذج من المدارس التبشيرية في المشرق العربي

لقد كانت منطقة المشرق العربي الأرض الخصبة والقاعدة المهيأة طبيعيا لإنشاء العديد من المدارس التبشيرية، وذلك لعدة أسباب منها توفر التعدد الطائفي فيها وهو دافع قوي جعل المبشرين ينشئون مدارسهم، خاصة في سوريا التي كانت مهد النصرانية فقد بشر فيها المخلص وآمن به الكثيرون ونشر الرسل والتلاميذ شارة الإنجيل[2]، إضافة إلى بقية دول المنطقة ونحاول أن نذكر أهم المدارس فيها ونبدأ بأهم المدارس في بلاد الشام والعراق على حد سواء ومنها نذكر:

([1]) أكمل الدين إحسان أوغلي: المصدر السابق، ص597.

([2]) يوسف إلياس الدبس: من تاريخ سوريا الدنيوي والديني، ج2، د ط، المطبعة العمومية المارونية، بيروت، 1898م، ص553.

3-2-1- مدارس الأحد:

وهذه المدارس من أهم الوسائل التي استثمرها المبشرون لأنها عملت على وعظ الناس في مختلف الأعمار لدراسة الكتاب المقدس وغيره من الخدمات الدينية التي كانت تقدمها، وقد سميت في بدايتها **مدارس الموعوظين catechetical Schools**[1] ، وذلك لإعداد المرشحين لقبول سر العماد بأن يكونوا مؤهلين لدخول المسيحية وكانت تعتمد في تعليمها على أسلوب السؤال والجواب ويذكر المؤرخون أن أول محاولة نظامية لها بمصر، أما مدرسة الأحد المعروفة في القرن 19 م فمؤسسها هو روبرت ركس Robert Rex في عام 1780م، حيث يجمع الأولاد ليعلمهم الكتاب المقدس يوم الأحد ومنذ بداية عمل الإرسالية الأمريكية في بلاد الشام، وهي تعمل على تشجيع هذا النوع من المدارس وتمويلها بالكتب وغيرها وكانت أول مدرسة لها ببيروت عام 1836م، وهي جزء من مدرسة الأحد التي تدرس بالإنجليزية، ويوجد بها فصل للبنات ومنهن عدد من الأهالي وفصل آخر للبنين، وفي عام 1861م حوت 150 دارسا، وفي 1883م أصبح لها سبع فروع في بيروت[2].

3-2-2- الكلية السورية الأنجيلية (الجامعة الأمريكية ببيروت حاليا):

بعد أن عرف النشاط التعليمي البروتستانتي تطورا كبيرا في المرحلتين الابتدائية والثانوية دفع هؤلاء إلى التفكير في إنشاء كلية للتعليم العالي من أجل إعداد نخبة داخلية تقود البلاد في المستقبل القريب، فظهرت الكلية السورية الأنجيلية التي افتتحت عام 1866م، حيث قسم التعليم فيها إلى مراحل ثلاث: تحضيرية، علمية، وطبية أين تستمر

([1]) عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى: المرجع السابق، ص101.

([2]) بكر بن عبد الله أبو زيد: المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية تاريخها ومخاطرها، ط1، دار الفكر، 2000م، ص21.

المرحلة التحضيرية ثلاث سنوات، ويتعلم الطلاب خلالها مبادئ العربية، البلاغة الإنجليزية، الفرنسية، الجبر، الحساب، والجغرافيا أما المرحلة العلمية فمدتها أربع سنوات هي الأخرى[1].

أما الهيئة التعليمية بها فتتكون من ثلاثة عشرة معلما، وعدد التلاميذ ستة عشر، وفي السنة الدراسية 1878-1879م، تغير منهاج الكلية وأصبح في السنة الأولى يدرسون الصرف، والأدب، الهندسة، الكتاب المقدس والموسيقى وغيرها وفي السنة الرابعة يدرسون الفلك، الفلسفة العقلية، الكتاب المقدس، التاريخ، الأخلاق وعلم طبقات الأرض، وقدر عدد الطلاب المؤهلين لنيل الشهادة في هذه السنة خمسة طلاب، وفي عام 1867م أنشأت الكلية السورية الأنجيلية كلية للطب والصيدلة كجزء منها، وبدأت التدريس باللغة العربية حتى سنة 1887م حينما استبدلت باللغة الإنجليزية وبدأت بأربعة عشر طالبا، ثم أصبح عددهم خمسين طالبا عام 1899م. وقد كان باستطاعة المسلمين التردد على مدارس وكليات التبشير وبين جدران الكلية الأنجيلية في بيروت[2]، أما خريجي هذه الكلية بين 1871 و1907م فنجد 154 من بلاد الشام، و75 من مصر، و03 من العراق و69 من بقية ولايات الدولة العثمانية[3].انظر الملحق رقم(02).

3-2-3- جامعة القديس يوسف:

حيث أبصرت هذه الجامعة النور، بعدما وافقت الحكومة الفرنسية على المشروع الذي تقدم به اليسوعيون بهذا الشأن عام 1883م، وقد تم الاتفاق على افتتاحها ابتداء بكلية طب فرنسية باعتبار كلية القديس يوسف ثانوية، لا يمكن أن تواجه نفوذ المؤسسات التعليمية

([1]) طلال عتريسي: البعثات اليوسوعية مهمة إعداد النخبة السياسية في لبنان، ط1، الوكالة العالمية للتوزيع، 1987م، ص170.

([2]) ل شاتليه: الغارة على العالم الإسلامي، تر مساعد اليافي، محب الدين الخطيب، ط2، منشورات العصر الحديث، جدة، د س، ص180.

([3]) علي معطي: المرجع السابق، ص20.

البروتستانتية الأمريكية. هذا بالإضافة إلى أن تلك الجامعة تفتح مجالات للعمل من خلال الطب، الحقوق، والدراسات العلمية للشبان الذين يتخرجون منها[1].

ولم يقتصر الهدف من إنشاء جامعة القديس يوسف على مواجهة النفوذ البروتستانتي المنافس فقط، بل كانت الرغبة الفرنسية في بسط النفوذ وتطويع العقول، حافزا هاما من حوافز ولادتها، لأن الشبان ذوي الثقافة الثانوية الفرنسية سيتابعون لمدة ست سنوات دراسة كلمات تقنية تفرض عليهم معرفة معمقة إلى حد ما[2].وقد وضعت شروط للالتحاق بها وهي:

أ. يقبل بها كل من كان من مواليد الشرق، والأوربيون المولودون في الشرق واستقرت عائلاتهم هناك نهائيا.

ب.أن يكون الملتحق بها حائزا على البكالوريا الفرنسية.

ج.ومن لم يتوفر فيه الشرطين السابقين يخضع لامتحان أمام لجنة يعينها ويرأسها مندوب من المفوضية الفرنسية العليا، وكانت لغة التدريس بها طبعا هي الفرنسية[3]، انظرالملحق رقم(03)و(04)، إضافة إلى ما ذكر نجد عدة مدارس أخرى نذكرها في عجالة وهي مدرسة دمشق وكلية عين طورة ومدارس أخرى للأرثوذكس نذكر منها: مدرسة ابتدائية للبنين في حي المزرعة، وتضم 200 تلميذ و3 أساتذة ولغة التعليم بها مختلطة بين العربية والفرنسية، وكذا مدرسة للبنين في حي القديس نيكولا[4].

([1]) طلال عتريسي: المرجع السابق، ص130.
([2]) محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية، ط4، مؤسسة الرسالة، 1981م، ص46.
([3]) عبد الجبار مهمين: التعليم الأجنبي...مخاطر لا تنتهي، موقع جامعة القديس يوسف،http://www.usj.u9du.lb/arabe/files/history.htm، تاريخ الزيارة: 2012/04/22، على 10:00.
([4]) طلال عتريسي: المرجع السابق، ص184.

3-2-4- مدرسة اللاتين في بغداد:

وتعتبر من أقدم المدارس التي أسسها المبشرون في العراق، حيث قامت بجهد الرهبانية الكرملية التي ظهرت بالمنطقة عام 1728م، وكانت تسير على الأساليب التعليمية الكنيسية دون تطوير واضح إلا في القرن 19م، عندما هيأت نفسها لاستبدال مناهج التعليم الحديثة، لتصبح في أواخر القرن19م واحدة من أهم مدارس العراق العالية، والتعليم بها مجانا[1].

3-2-5- مدرسة الرهبان الكرمليين للأطفال:

حيث اهتم الرهبان الكرمليون بتأسيس مدرسة للأطفال متوسط عدد الطلبة فيها حوالي 100، يدرسون اللغة العربية والمواد الاجتماعية والحساب، وتقدم لهم وجبة غذائية والملابس الضرورية، إضافة إلى كونها مجانية التعليم، أما المدرسة الثانوية كانت تغطي مناهج المدارس الرسمية، إلى جانب العلوم اللاهوتية، بحيث أن الخدمات التعليمية فيها كانت على مستوى عال، حيث أن خريجي هذه المدارس أكثر خبرة وعلما من أقرانهم في المدارس الحكومية، والدليل على ذلك أنه هناك زيادة هائلة في عدد الطلبة وقد بلغ عددهم خلال سنتي 1889-1890م هو 30 طالب، وبدخول عام 1905م حتى وصل عددهم 168 طالب[2].

أما مصر فقد شهدت تأسيس العديد من المدارس ونذكر منها:

3-2-6- مدرسة أسيوط للبنات:

تأسست عام 1866م بمنطقة أسيوط جنوب مصر، وكانت تنشط في بيت الحلاج، حيث التحق بها في عامها الأول ثلاث طالبات فقط، ووصل عددهن في نهايته إلى ثلاثين

([1]) جابان الكردي: صفحات من التنصير في كردستان العراق، موقع إسلامي http://www.saaid.net/manahij/24.htm ، تاريخ الزيارة: 2012/03/19. الساعة 14:00.

([2]) سلامة جرجس: المرجع السابق، ص137.

طالبة، ومن بينهن تسع بنات من أبناء المسلمين، وفي عام 1874م أصبح للمدرسة قسم داخلي لإقامة الطالبات المغتربات عن مدينة أسيوط مثل المينا وسوهاج، أما في سنة 1881م تم شراء قطعة أرض بشارع ثابت بأسيوط أقيمت عليه المباني الحالية للمدرسة وقد تبرع أحد المنصرين الأمريكان بمبلغ عشرة آلاف دولار أمريكي لتشييد مبانيها وتم الانتهاء من هذا العمل عام 1884م، وتقول عنها إحدى المدرسات بها: "إن واجبها كمبشرة يفوق دورها كمدرسة وأنها تمارسه من خلال زيارة أسر التلاميذ والاتصال بزملاء المدرسين"[1].

ويقول فيها أحد المبشرين: "إن هذه المدرسة كان لها الأثر في تغيير أفكار وعادات نساء أسيوط إلى الحد الذي يمكن القول معه، أنهن يرتقين في الإطار المسيحي بسرعة عن النساء في أي مكان آخر"[2].

3-2-7- جامعة القاهرة (الجامعة الأمريكية بالقاهرة حاليا):

لقد تأسست هذه الجامعة في 15 أكتوبر 1920م بعد رحلة طويلة من المبادرات، والنقاشات، والرسائل المتبادلة واللقاءات، وجمع المعلومات واختيرت هذه الجامعة (القاهرة) لعدة أسباب:

- أن المنطقة تحتاج إلى نوع جديد من التبشير يتفوق في شكله ومحتواه على الصور الموجودة.
- الموقع الاستراتيجي للقاهرة باعتبارها مركز فكري هام.

(1) خالد محمد نعيم: المرجع السابق، ص ص 99،100.
(2) سيدة إسماعيل كاشف: مصر الإسلامية وأهل الذمة، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993، ص162.

- الموقع الاستراتيجي للقاهرة باعتبارها مركز فكري هام.
- تدفق جموع من المسلمين الرحالة من كل مكان لأهداف دينية وتجارية، وأعدادهم تفوق بكثير عدد الحجاج الذين يقومون بمناسك الحج بمكة[1].

وقد بدأت هذه الجامعة عملها الرسمي بالأقسام التالية[2]:

* كلية الآداب والعلوم على مستوى الثانوية وكانت على قسمين:

1) قسم الآداب ويدرس باللغة الإنجليزية وفق النظام الأمريكي.

2) قسم الحكومة باللغة العربية وفقا للنظام المصري مع إضافات أخرى.

* أما قسم الدراسات الممتدة وهو يساهم في معرفة المجتمع المصري، وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عنه وبناء تصور لمشكلاته، ومن أهدافه: التأثير في الخلفية الاجتماعية لطلاب الجامعة الشرقيين، وفي الأقطار المسلمة (عادات وتقاليد اجتماعية) والتي تمثل أكبر عائق أما تغريب هؤلاء[3].

إضافة إلى هذه الجامعة هناك كلية الإسكندرية، ومدرسة دالتا وغيرها حيث عملت تلك الجامعات والمدارس على نشر التبشير في مصر باعتبارها تحتل موقع محوري هام.

وهكذا كانت المدارس التبشيرية في بلاد المشرق العربي على مختلف طوائفها تعمل على إعداد نخبة مدرسة أساسا، تفرق ولا توحد، تعمق الانقسام في الانتماء التاريخي الراهن، ولا تترك للمستقبل أمل في النهوض.

([1]) مصطفى رجب: أهداف الجامعة الأمريكية بالقاهرة، http://datadaltarjama.com/dt/block.php, تارخ الزيارة: 2012/05/02 الساعة: 13:30 زوالا.

([2]) إبراهيم سليمان الجبهان: محاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير، ط4، عالم الكتب، الرياض، 1981، ص24.

([3]) المرجع نفسه، ص28.

المبحث الثالث: آثار المدارس التبشيرية في المشرق العربي

سنتحدث في هذا المبحث عن آثار وبصمات هذه المدارس في بلاد المشرق العربي خاصة وسنبدأ بالجانب العقائدي الديني ثم اللغوي الثقافي، وكذا الاجتماعي، وبعدها الجانب السياسي، لأن التغيير يبدأ من العقيدة ثم ينتقل إلى اللسان المتكلم والأفراد ثم يلم بالأمة سياسيا.

3-3-1- الجانب العقائدي الديني:

يعتبر مجال العقيدة الإسلامية من أهم المجالات التي اهتم بها المبشرون ووجهوا لها النصيب الأكبر من الدراسة من أجل البحث عن الوسائل التي يمكن تطويرها لهدم هذه العقيدة وتخريبها وتشويه أصولها[1]، ويمكن توضيح ذلك في النقاط الآتية:

- إثارة الشكوك في العقيدة في أواسط المسلمين الذين تعلموا داخل أسوار هذه المدارس، فأصابهم ما أصاب الغرب عامة من هجر للدين، واحتقار له، وفصل بينه وبين أمور الدنيا، وترسيخ فكرة التخلف لدى المسلمين تعود لارتباطهم بدينهم[2].
- تشويه صورة الإسلام في نفوس أبناء المسلمين وذلك بتلقينهم معلومات خاطئة ومظلة عن الإسلام، وهي تعد حرب فكرية لمنع انتشار الإسلام، سواء في البلاد الإسلامية نفسها أو في البلاد الغربية[3].
- تثمين شأن الفرق الدينية ودورها في المجتمع الإسلامي، وذلك من أجل تحطيم وحدة الإسلام كدين، وكذا وحدة الحضارة الإسلامية، باعتبار أن هذه الفرق تعمل على تطوير العقيدة كونها تعبر عن نوع من الإثراء في الإسلام من خلال تعدد المذاهب

([1]) محمد خليفة حسن: آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997، ص09.

([2]) المرجع نفسه، ص13.

([3]) إبراهيم محمد الحقيل: التنصير لم يكن غائبا، مجلة البيان، العدد 153، د س، ص34.

والطرق، تشبيها له بالوضع في اليهودية والنصرانية، وأيضا استحداث فرق دينية جديدة من أجل القضاء على وحدة الدين والمسلمين[1].

- تثبيت الدين النصراني في نفوس الناشئة والعمل على نشره ليتحول من مرحلة الدفاع عن نفسه قديما إلى مرحلة الهجوم على الإسلام[2].

3-3-2-الجانب اللغوي الثقافي:

باعتبار اللغة العربية هي إحدى مقومات الأمة الإسلامية فقد عمل المبشرون داخل مدارسهم في القضاء عليها من خلال ثلاث جوانب هي:

الأول: إضعاف اللغة العربية.

الثاني: الاهتمام باللغة الأجنبية.

الثالث: مظاهر الضعف اللغوي[3].

هذا ما أفرز لنا:

- وجود فئة من المجتمع لا تتقن اللغة العربية ولا تتحكم في مفرداتها.
- صعوبة في قراءة القرءان الكريم، وإذا ما تحدث باللغة العربية أدخل ضمن حديثه الكثير من المفردات الأجنبية لتعلق لسانه بها[4].

([1]) محمد خليفة حسن: المرجع السابق: ص21.
([2]) محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، د ط، دار العلوم، القاهرة، د س، ص38.
([3]) عبد العزيز بن أحمد البداح: المرجع السابق، ص333.
([4]) عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995م ، ص226.

- رغبة الأولياء في تعليم أبنائهم اللغات الأجنبية واعتبارها لغة العصر في حين أن اللغة العربية هي لغة هامشية وهذا يؤدي إلى احتقار اللغة العربية، ومن ثمة تجافي عن الدين الإسلامي وثقافته[1].

أما الجانب الثقافي يتمثل في:

- تشتيت الجهود الفكرية والثقافية، والعلمية للمسلمين وذلك بخلق مناخ من الفوضى من أجل إبعاد العلماء المسلمين عن التفكير في القضايا الإسلامية الحقيقية، التي يواجهها العالم الإسلامي[2].

- نشر الفكر غير العقلي والمتمثل في نشر الخرافات والأساطير في المجتمعات الإسلامية ومحاربة الإسلام كدين للعقل، وتشجيع الفرق الصوفية التي تحتوي أفكارها وعقائدها على عناصر تساعد على تغييب العقل المسلم[3].

- التشكيك في مصادر العلوم الإسلامية وقد ركز هؤلاء على تشويه القرءان الكريم والسنة النبوية باعتبارها المصدرين الأساسيين للدين الإسلامي وأنكروا أن القرآن هو وحي من الله سبحانه ولجئوا إلى مناهج النقد الغربية، والتي عرفت بمنهج النقد التاريخي الأدبي والذي طبق على كتاب "العهد القديم"، و"العهد الجديد" من تحليل ونقد ونظروا إلى هذه الأعمال أنها متطورة، بمعنى أنها لم تؤلف دفعة واحدة ولكنها مرت بمراحل تطور تاريخية وأدبية[4].

([1]) محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث، ط8، مكتبة وهبة، القاهرة، 1975، ص106.
([2]) محمد عمارة: الغزو الفكري وهم... أم حقيقة؟، المرجع السابق، ص63.
([3]) علي حرب: الاستيلاب والارتداد الإسلام بين روجيه غارودي ونصر حامد أبو زيد، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997، ص39.
([4]) عبد الودود شلبي: أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية، د ط، الدار السعودية، الرياض، د س، ص26.

- التشكيك في أصالة الفكر الإسلامي بحيث عملوا على نسب كل مصدر فكر الإسلامي إلى مصدر يهودي أو نصراني أو فارسي أو يوناني أو روماني...[1].

- التشكيك في أصالة الأدب العربي بحيث يردونه إلى الأدب الجاهلي وأن المسلمين من الشعراء كانوا يضعون قصائدهم على لسان الشعراء الجاهليين لينالوا القبول ويضمنوا لقصائدهم على لسان الشعراء الجاهليين لينالوا القبول ويضمنوا لقصائدهم الانتشار[2].

- الشك في أصالة الحضارة الإسلامية من حيث قيمتها وإنكار فضلها على الحضارة الغربية، وذلك بإثارة الشبهات حول المنجزات الحضارية الإسلامية وردها إلى مصادر أجنبية، وكون هذه المنجزات حقيقية ولا يمكن إلغاءها وهذا بغرض التقليل من الدور العربي في بناء الحضارة الإسلامية من جهة، ومن جهة أخرى إثارة الصراع الحضاري والنزاعات القومية بين المسلمين[3].

3-3-3- الجانب الاجتماعي:

لقد نتج عن هذه المدارس في المجال الاجتماعي عدة تأثيرات سلبية كان لها دور في تغيير صورة المجتمع المسلم في العصر الحديث:

- ظهور طبقة اجتماعية غريبة عن المجتمع الإسلامي من حيث السلوك والتفكير، وحتى من ناحية اللباس والمأكل، هذه الفئة تابعة للمجتمع الغربي أكثر، ويرجع ذلك إلى ما تعرض له المجتمع المسلم من شبهات من طرف المسئولين عن هذه المدارس ووضع هذه الفئة الاجتماعية في مقارنة بين المجتمع المسلم المتخلف وبين المجتمع

([1]) عبد الودود شلبي: أفيقو أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية، المرجع السابق، ص30.
([2]) إبراهيم خليل أحمد: المرجع السابق، ص 52.
([3]) إبراهيم بن سليمان الجبهان: المرجع السابق، ص36.

الغربي المتقدم، واعتبار القيم الاجتماعية الإسلامية، قيما بالية لا تصلح للعصر الحديث[1].

- زوال بعض العادات والتقاليد الإسلامية نوعا ما وانصهارها وذوبانها في العادات الغربية، التي شب عليها طلاب هذه المدارس محاولين التمسك بها، وأنها الأفضل حسب رأيهم، بحيث لا يمكن التنصل منها بل هناك نسبة كبيرة من خريجي تلك المدارس يفضلون العيش والعمل في المؤسسات الأجنبية، ومنهم من يرغب وبشدة الإقامة الدائمة هناك في الغرب[2].

- ظهور فكرة تحديد النسل، وهي مفاهيم وتصورات غريبة بعيدة عن المفاهيم الإسلامية، وذلك بهدف القضاء أو التقليل من النسل العربي المسلم وتصييه الشيخوخة، كما حدث عند الغربيين[3].

- قضية تحرير المرأة أو ما يعرف اليوم بحقوق المرأة، وقد ظهرت في البداية في كتاب رفاعة الطهطاوي[4] "المرشد الأمين للبنات والبنين"، وأيضا وجوب مشاركة المرأة في تغطية تكاليف المعيشة مع أبيها أو زوجها، وذلك بخروجها للعمل وإعطائها كل الحقوق مثلها مثل الرجل، أي المساواة فيما بينهما، وسفورها وتبرجها[5].

- انتشار فكرة الاختلاط بين الجنسين داخل مباني هذه المدارس وفي مختلف المرافق كالرياضة، وأيضا في الرحلات الترفيهية الداخلية والخارجية، وهذا ما نتج عنه ظهور عدة سلوكيات لا أخلاقية كالعلاقات غير الشرعية بين الطلاب والطالبات، وتعدت

([1]) محمد الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، د س، ص119.
([2]) محمد عبد الله الشرقاوي: المرجع السابق، ص56.
([3]) جابر قميحة: أعداء الإسلام ووسائل التضليل، المرجع السابق، ص154.
([4]) هو رفاعة بن رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، ولد سنة 1216هـ، تعلم في الأزهر، أرسلته الحكومة المصرية إماما للصلاة مع بعثة من الشباب أوفدتهم إلى أوربا لتلقي العلوم الحديثة وتوفي 1290هـ، انظر: سعد ال حميد: أثر المستشرقين على أبناء المسلمين ،رسالة ماجستير ،قسم الثقافة الإسلامية ،جامعة الملك سعود، د س، ص57.
([5]) أنور الجندي: الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون، د ط ، دار الاعتصام، القاهرة، د س، ص24.

هذه العلاقات من كونها بين العرب إلى أن تكون بين أجنبي وعربية وهو ما يدخل في إطار الحرية المطلقة، والتي تندرج تحتها الحرية الشخصية[1].

- ظهور انقسامات في المجتمع المسلم الواحد وذلك بتشجيع ثقافات الأقليات المتواجدة في البلاد خاصة وأن منطقة المشرق العربي تتكون من عدة طوائف ومذاهب وبالتالي تنحاز كل طائفة إلى عاداتها ونظمها وهذا يحدث شرخ وانقسام في المجتمع المسلم[2].

3-3-4-الجانب السياسي:

حتى الجانب السياسي تأثر بهذه المدارس باعتبار أنها تفرز جماعات أو كوادر تقود البلاد في المستقبل:

- تثبيت أقدام الاستعمار في العالم الإسلامي، حيث كانت المدارس التبشيرية ممهدة للاستعمار في هذه المنطقة وأن العلاقة بين التبشير والاستعمار علاقة متبادلة[3]، خاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين، إذ لم يكتف المستعمر بنهب الثروات الاقتصادية وفرض السيطرة السياسية والفكرية، بل اتجه إلى إحداث تغيير في التفكير السياسي عند المسلمين وإجبارهم على تبني النظم السياسية الغربية، وهذا يعني التخلي عن النظم الإسلامية[4].
- انتشار قضية بعث القوميات في البلاد العربية الإسلامية وإثارة الفتن والنزاعات بين هذه القوميات الإسلامية مما أدى إلى تقوية النزعة العرقية الانفصالية، والعصبيات

([1]) محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث، المرجع السابق ، ص99.

([2]) المرجع نفسه: ص109.

([3]) الصلة قوية بين التبشير والاستعمار ليست مقولة تاريخية فحسب، إنما هي صلة تستمد وجودها من كون الأول وسيلة لترسيخ الثاني من ناحية، والثاني يسهل مهمة الأول، وكلاهما يلتقيان في هدف واحد وهو الاستنزاف والتخريب ماديا كان أو معنويا في جوانبه النفسية والروحية والأخلاقية، انظر: جابر قميحة: آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم ، المرجع السابق ، ص52.

([4]) عبد الودود شلبي: أفيقوا أيه المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية، المرجع السابق ، ص40.

بين العرب والشعوب الإسلامية مثل: العرب، الفرس، الأتراك، وقد نجحوا في عزل هذه الجماعات عن بعضها البعض، وإخراجها من دائرة الرابطة الإسلامية[1].

- القضاء على الخلافة العثمانية كون هذه الأخيرة تعبر عن وحدة المسلمين منذ نشوءها وحتى سقوطها، وأيضا تمثل استمرارية نظام الخلافة الإسلامية، على الرغم من ضعف الخلافة العثمانية في أواخر أيامها، وكانت لا تزال رمزا لهذه الوحدة، ورمزا للخلافة التي بدأت منذ الخلافة الراشدة إلى غاية سقوط الخلافة العثمانية، هذه الأخيرة استطاعت أن تصل بفتوحاتها إلى أبواب فيينا، وبذلك أصبحت تشكل خطرا دينيا، وسياسيا على القارة الأوربية، وبسقوطها ينتهي أحد أهم أعمدة النظام الإسلامي وهي وحدة الأقطار العربية الإسلامية[2].
- حدوث عدة انقلابات عسكرية وسياسية في البلاد العربية والإسلامية من أجل لفت أنظار العرب إلى أمورهم الداخلية وإبعادهم عن كل تحركات الغرب، والخطط التي تنسج خيوطها في الخفاء ضدهم، وهو ما حدث في لبنان، العراق، وحتى مصر[3].
- نشر النظم السياسية الغربية في البلاد العربية الإسلامية، وهذا من خلال إثارة الشبهات حول النظام السياسي الإسلامي وإظهاره في صورة العاجز المتخلف، عن مواجهة قضايا العالم الحديث، وفي نفس الوقت تقديم البديل له والمتمثل في النظام السياسي الغربي، ومحاولة فرضه بعد سقوط الخلافة العثمانية، كما عمدوا إلى فصل الدين عن الدولة وعدم الاعتراف بالدين كمصدر للفكر السياسي[4].
- تجزئة وشرخ الأمة الإسلامية إلى عدة أمم وشعوب تجمع بعضها المصالح القومية، وتجمع البعض الآخر عرقيات وبعضها الآخر تربطها المذاهب، وبذلك تفرقت الأمة الإسلامية شيعا، حتى أن إسطنبول التي كانت ضمن الخلافة العثمانية أول البلاد

([1]) عبد الجليل شلبي: معركة التبشير والإسلام،المرجع السابق، ص106.
([2]) محمد كرد علي: خطط الشام، ط3، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د س، ص19.
([3]) المرجع نفسه، ص45.
([4]) مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، د ط، دار الوراق، د س، ص56.

الإسلامية المستسلمة تماما لعملية فصل الدين عن الدولة، لتتوجه إلى الغرب متبنية نظمه، وبذلك تفرقت مصلحة الأمة الإسلامية إلى عدة مصالح سياسية متضاربة، وتوزعت بين عدة محاور سياسية ودخل بعضها في حروب ضد بعض بسبب اختلاف الانتماءات السياسية[1].

وعليه فهذه المدارس تمثل نموذجا مصغرا لتلك الحياة الغربية بكل مفاهيمها ومكوناتها... وعندما يتأثر الدارس فيها بذلك فتقليده لها نتيجة حتمية وإفرازه طبعي.

إذن يمكننا القول أن المدارس التبشيرية قد انتشرت وبسرعة في مختلف المناطق العربية الإسلامية، وساعدتها عدة عوامل منها الجانب المالي، الذي لعب دورا مهما في تقدمها وثباتها على الرغم من محاولات الدولة العثمانية التصدي لها، لكن الواضح أنها فشلت في ذلك، مما أدى إلى سقوطها حيث كان لهذه المدارس العمل المضني في نهاية الخلافة العثمانية لنلمس فيما بعد آثار وبصمات هذه المدارس على المجتمعات العربية والإسلامية.

(1) محمد عمارة: الجديد في المخطط الغربي، المرجع السابق، ص17.

الخاتـــــمة

الخاتمة

فبعد الانتهاء من بحثنا هذا ولله الحمد، قد اتضحت لنا الاستنتاجات التالية:

1. الدولة العثمانية دولة مسلمة بالدرجة الأولى، ونظامها الاجتماعي والقضائي قائم على الشريعة الإسلامية والالتزام بها حتى القرن التاسع عشر الميلادي.
2. اتسام الوضع الثقافي في الدولة العثمانية عامة، وبلاد المشرق العربي خاصة بالطابع الديني، حيث أن هذا الأخير كان المحرك الأساسي لمختلف نواحي الحياة.
3. الدولة العثمانية دولة عسكرية بالأساس، لذلك لم تعطي الجانب الثقافي الاهتمام اللائق على الرغم من بعض المحاولات والإصلاحات.
4. إن التطور الذي عرفته أوروبا واتصالها بالدولة العثمانية انعكس على أفراد هذه الأخيرة، خاصة في الجانب التعليمي الذي ساير هذا التقدم وتحولاته، لتبرز للوجود ظاهرة التبشير.
5. فمصطلح التبشير من وجهة نظر الغرب هو تحويل المسلمين من الإسلام إلى النصرانية، وهو التعبير المحبب لديهم بدل التنصير، ولكن الحقيقة أنه مظهر من مظاهر الخداع، لذا يجب على المسلمين أن يحتاطوا من هذا المكر، ويضعوا الأمور في نصابها.
6. الجذور التاريخية للتبشير -التنصير- تعود إلى ظهور الإسلام في العالم ليبدأ الصراع بين هذا الأخير والمسيحية، وقد ساهمت الحروب الصليبية في توسيع دائرة هذا الصراع، خاصة بعد فشلها، مما زاد في نقمة وحقد المسيحيين للإسلام والمسلمين.
7. اتباع أسلوب آخر متخفي بدلا من المواجهة العلنية، وتمثل في الإرساليات التبشيرية، التي وصلت المنطقة خلال القرن 17م تقريبا، وارتكزت أعمالها في البداية على

الطوائف المسيحية فقط، ثم امتدت لتشمل مختلف طوائف المشرق العربي، فكان لها الدور الفعال في نشر التعليم الخاص بها.

8. بلاد المشرق العربي أرض خصبة لنشر تعاليم المسيحية، لتميزها بتنوع ديني وطائفي، وكذا التسهيلات التي منحتها الدولة العثمانية للطوائف غير المسلمة، وأيضا الإصلاحات الداخلية للبلاد، وهي ظروف ساهمت ومهدت للتبشير، خاصة في الجانب التعليمي الذي لا ينتقده أحد ولا يعارضه دين.

9. إنشاء المدارس التبشيرية أسلوب آخر للصراع والوقوف في وجه انتشار الإسلام، نظرا لمدة الدراسة بها وكذا داخل أسوارها يلقن كل شيء ويقال أي شيء دون مراقبة.

10. هذه المدارس اتبعت منهج واحد في مختلف المناطق، وعلى اختلاف طوائفها، واعتمدت عدة أساليب ووسائل سواء كانت بشرية أو مادية للوصول لأهدافها.

11. التعليم في المدارس التبشيرية هو غزو للأمة وأفرادها في دينهم، وأخلاقهم ولغتهم، وانتمائهم لأمتهم وبلادهم، والواجب الديني والمسؤولية الوطنية تقضي بمواجهته.

12. هذه المدارس كانت مقدمة للاستعمار العسكري، في بعض مناطق الدولة العثمانية، وفي البعض الآخر هيأ لها الاستعمار ورعاها لبث أفكارها الدنيئة، وهو ما يفسر العلاقة بينهما.

13. لعب العامل المالي دورا هاما في انتشارها وتطورها من مدارس إلى جامعات وكليات، وأيضا استمراريتها حتى بعد سقوط الدولة العثمانية.

14. اتخذت الدولة العثمانية جملة من الإجراءات والتدابير اتجاه هذه المدارس، بهدف الحد من نشاطها، كتطوير التعليم الحكومي، ومنع إنشاء مدارس من هذا النوع إلا بالحصول على تصريح مسبق من الباب العالي، ولكنها فشلت في الحد منها، بسبب الأزمة المالية التي عصفت بها.

15. غلبت الصبغة الغربية على المجتمعات العربية والإسلامية، باعتبار التعليم في هذه المدارس أول وأقوى عامل تغريبي.

16. التأثير السلبي والخطير لهذا النوع من التعليم على مختلف الجوانب اللغوية والاجتماعية، والأخلاقية، والثقافية، وكذا العقائدية في المجتمعات العربية الإسلامية.

17. إنشاء مثل هذه المدارس هو مظهر من مظاهر التبعية والتقليد، ونتيجة للهزيمة النفسية التي يعاني منها المسلمون.

18. لعل أبرز مساوئ المدرسة التبشيرية حصول الانفصام الفاصل بين المثقفين والثقافة الإسلامية، إذ أصبح حمل الثقافة الإسلامية خاصا بالمتخصصين في العلوم الشرعية، في حين أن كثيرا من المثقفين والذين يلعبون دورا هاما في المجتمع، إنما يحملون ثقافة الغرب وفكره، وهويته وعليه فهم جنوده – شعروا أم لم يشعروا– يعملون على تنفيذ فكره ونشر ثقافته في المجتمع.

19. إن ضعف الشعوب العربية والإسلامية، وبخاصة حكامها أسهم بكثير في تطاول هؤلاء على القلوب والأفكار، فيجب تحمل المسؤوليات، وعدم إلقاء اللوم دائما على الغرب عدو الأمة.

وفي الأخير، وفي نهاية هذه الدراسة، المتعلقة بموضوع حساس ودقيق، إذ تعلق بماضي ومستقبل هذه الأمة من جميع النواحي خاصة الدينية منها، حاولنا أن نسهم ولو بجهد بسيط في لفت الانتباه إلى الخطر المحدق بهذه الأمة، وما يتربصه بها من الأعداء، الذين لا تنام أعينهم حتى تحقيق أهدافهم، فحري بعلماء المجتمعات العربية والإسلامية ومثقفوها أن ينتبهوا، ويثوروا من غفلتهم، وينتشلوا الشعوب الإسلامية من مصير هو الآن بيد هؤلاء وأتباعهم الذين انتشروا في كل مكان ينخرون جسد الأمة الضعيف، وبوسائل أخرى عديدة ظاهرة وباطنة.

الملاحق

الملحق رقم 01: صموئيل زويمر

http://www.saaid.net/manar

تاريخ الزيارة 2012/03/19

الملحق رقم 02: الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية) بيروت.

http://www.usj.u9du.lb/arabe/files/history.htm 2012/04/22 :تاريخ الزيارة .

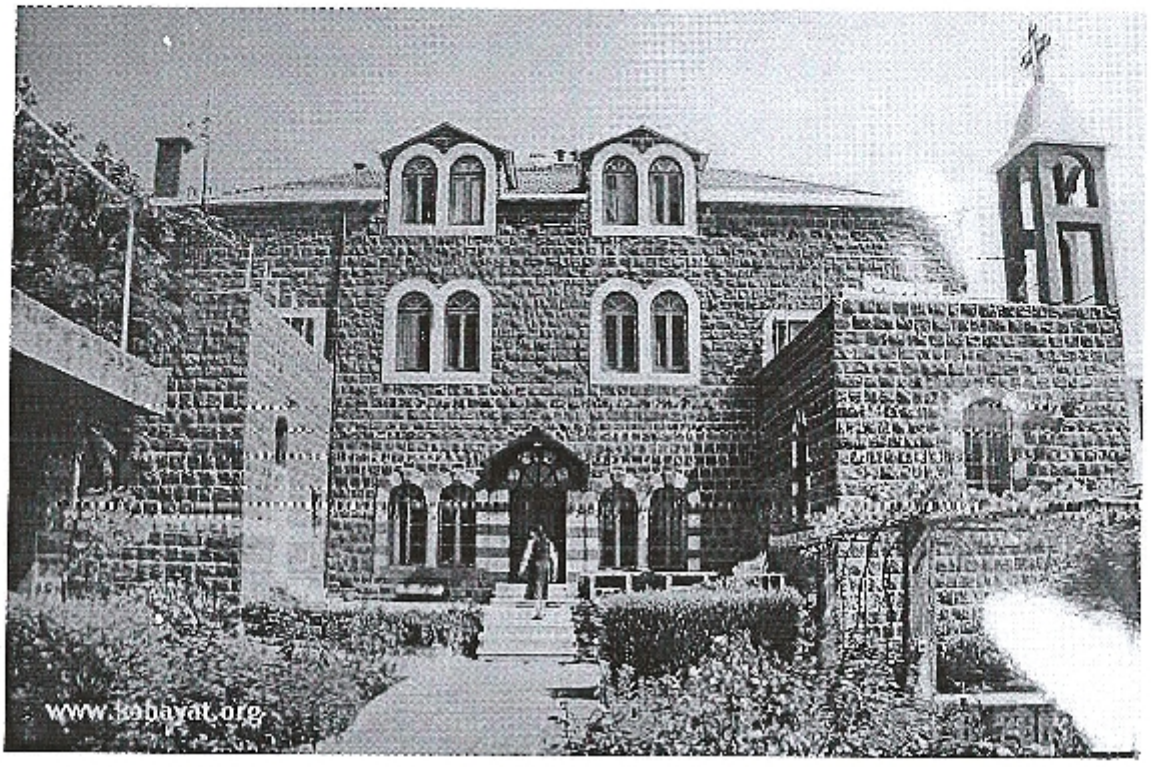

الملحق رقم 03: جامعة القديس يوسف

http://www.usj.u9du.lb/arabe/files/history.htm 2012/04/22 :تاريخ الزيارة .

قائمة المراجع

قائمة المراجع

- القرءان الكريم.

I. الكتب:

1. أبو خليل شوقي: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، ط1، دار الفكر المعاصر، لبنان،1998 .
2. أبوسنة زينب: تركيا الإسلامية الحاضر ظل الماضي، ط1، دار الثقافة للنشر، القاهرة،2006.
3. إحسان أوغلى أكمل الدين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر صالح سعداوي، ج2، د ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 1999.
4. إسماعيل كاشف سيدة: مصر الإسلامية وأهل الذمة، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1993.
5. الأعظمي محمد: دراسات في اليهودية والمسيحية، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، د س.
6. أنطونيوس جورج: يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، تر ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، لبنان،1987.
7. أنيس محمد: الدولة العثمانية الشرق العربي1514-1914م، د ط، مكتبة الأنجلو مصرية، د س.
8. اينالجيك خليل: تاريخ الدولة العثمانية من النشء إلى الانحدار، تر محمد.م.الارناؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان،2002.
9. بن إبراهيم الحمد النملة علي: التنصير في المراجع العربية، ط2، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2003.
10. بن إبراهيم العسكر عبد العزيز: التنصير في الخليج العربي، ط3، الدار العربية للموسوعات، الرياض، 2007.

11. بن دبلان بن خضر الوذيناني خلف: الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام1327هـ/1909م، ط2، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 2003.

12. بن عبد الله أبو زيد بكر: المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية تاريخها ومخاطرها، ط1، دار الفكر،2000.

13. بن عبد الله الصالح عبد الرحمن: التنصير تعريفه أهدافه وسائله حسرات المنصرين، د ط، المختار الإسلامي، د س.

14. بن ناصر الشثري محمد: التنصير في البلاد الإسلامية، ط1، دار الحبيب، الرياض،1998.

15. البهي محمد: الفكر الإسلامي الحديث، ط8، مكتبة وهبة، القاهرة،1975.

16. البهي محمد: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، د ط، مطبعة الأزهر، د س.

17. بيات فاضل: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان،2003.

18. جرجس سلامة: تاريخ التعليم الأجنبي في مصر، د ط، المجلس الأعلى لرعاية الفنون، القاهرة، 1993.

19. الجندي أنور:أخطاء المنهج الغربي الوافد، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1974.

20. الجندي أنور: الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون، د ط، دار الاعتصام، القاهرة، د س.

21. الجندي أنور: العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983.

22. الجندي أنور: أهداف التغريب في العالم الإسلامي، د ط، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية، دس.

23. الجندي أنور: تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة، د ط، دار الاعتصام، القاهرة، دس

24. جواد العزاوي قيس: الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط2، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2003.

25. حرب علي: الاستلاب والارتداد الإسلام بين روجيه غار ودي ونصر حامد أبو زيد،ط1،المركز الثقافي العربي، بيروت،1997.

26. حسن حبكة الميداني عبد الرحمن: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها(التبشير–الإستشراق–الاستعمار)، ط8، دار القلم، دمشق،2000.

27. حسن حنبكة الميداني عبد الرحمن: غزو في الصميم، ط1، دار القلم، دمشق،1982.

28. حمدي زقزوق محمود: الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د ط، دار المعارف، القاهرة، د س.

29. خالدي مصطفى، فروخ عمر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط3، المكتبة العصرية، بيروت، 1953.

30. خليفة حسن محمد: آثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،1997.

31. خليل أحمد إبراهيم: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، د ط، مكتبة الوعي العربي، الفجالة، 1964.

32. ريف عبد الجليل: الكاروز التنصير في بلاد المسلمين، د ط، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة،د س.

33. السباعي مصطفى:الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، د ط، دار الوراق، د س.

34. سعد الدين البساطي أحمد: التبشير و أثره في البلاد العربية والإسلامية، د ط، دار أبو المجد للطباعة، القاهرة، 1989.

35. السعيد حبيب كمال: الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية و حتى نهاية الدولة العثمانية(622-1908م)(1-1325هـ)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة،2002 .

36. سلامة عبد المالك سلمان: أضواء على التبشير والمبشرين، ط1، مطبعة الأمانة، أسيوط،1994.

37. سليمان الجبهان إبراهيم: معاول الهدم والتدمير في النصرانية و التبشير، ط4، عالم الكتب، الرياض،1981.

38. سوادي هاشم هشام: تاريخ العرب الحديث1516-1918م، د ط، دار الفكر، الأردن، 2010.

39. السيد صالح سعد الدين:احذروا الاساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ط1، مكتبة الصحابة، الإمارات،1998.

40. سيد صبرة عفاف: المستشرقون ومشكلات الحضارة، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة،1997.

41. شاتليه ل: الغارة على العالم الإسلامي، تر مساعد أليافي، محب الدين الخطيب، ط2، منشورات العصر الحديث، جدة، د س.

42. شلبي عبد الجليل: معركة التبشير والإسلام حركات التبشير في آسيا وإفريقيا وأوربا، ط1، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، د س.

43. شلبي عبد الجليل:الإرساليات التبشيرية، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، د س.

44. شلبي عبد الجليل: معركة التبشير والإسلام، ط1، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، 1989.

45. شلبي عبد الودود: أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية، د ط، الدار السعودية، الرياض، د س.

46. شلبي عبد الودود: الزحف إلى مكة حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي، د ط، دار الفتح للإعلام العربي،2003.

47. شلبي كرم: الإذاعات التنصيرية الموجهة للمسلمين العرب، ط1، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1990.

48. عبد الرزاق عيسى عبد الرزاق: التنصير الأمريكي في بلاد الشام1834-1914م ، ط1، مكتبة مدبولي،2005.

49. عبد الله الشرقاوي محمد: الإستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، د ط، دار العلوم، القاهرة، د س.

50. عبد الله سيف الرفاعي أحمد: التنصير يغزو العالم الإسلامي، د ط، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، د س.

51. عبد المنعم السيد الراقد محمد: الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي، د ط، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، د س.

52. عبد الوهاب أحمد: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة،1981.

53. عتريسي طلال: البعثات اليسوعية مهمة إعداد النخبة السياسية في لبنان، ط1، الوكالة العالمية للتوزيع،1987.

54. عمارة محمد: إستراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، ط1، مركز دراسات العلم الإسلامي،1992.

55. عمارة محمد: الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين، د ط، دار الوفاء، دس.

56. عمارة محمد: الغزو الفكري وهم...أم حقيقة، د ط، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية، الإسكندرية،2003.

57. العودات حسين: العرب النصارى عرض تاريخي، ط1، الأهالي للطباعة النشر والتوزيع، دمشق، 1992.

58. الغزالي محمد: صيحة تحذير من دعاة التنصير، ط1، دار الصحوة للنشر، القاهرة، 1991.

59. فاروقي ثريا: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، تر حاتم الطحاوي، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان،2008.

60. قميحة جابر: أعداء الإسلام ووسائل التضليل، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر،2002.

61. الكحلوت عبد العزيز: التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء، ط2، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1992.

62. كرد علي محمد: خطط الشام، ط3، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د س.

63. كساب أ كرم: التنصير مفهومه، جذوره، أهدافه، د ط، مركز التنوير الإسلامي، دس.

64. محمد الجبري عبد المتعال: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995.

65. محمد الشناوي عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ج2، د ط، مكتبة الأنجلومصرية،2004.

66. محمد حسين محمد: الإسلام والحضارة الغربية، ط4، مؤسسة الرسالة،1981.

67. محمد شاكر محمود: أباطيل وأسمار، ج1، د ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2005.

68. محمد نعيم خالد: الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر: د ط، المختار الإسلامي، القاهرة، د س.

69. معطي علي: تاريخ لبنان السياسي والإجتماعي1908-1918م، ط1، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، لبنان، 1992.

70. موسى سليمان: الحركة العربية المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة1908-1924، ط3، دار النهار للنشر، لبنان،1986.

71. نوري النعيمي أحمد: الدولة العثمانية واليهود، ط1، الدار العربية للموسوعات، لبنان،2006.

72. هدى نجا فاطمة: المستشرقون والمرأة المسلمة، د ط، دار الإيمان،1991.

73. إلياس الدبس يوسف: من تاريخ سوريا الدنيوي والديني، ج2، د ط، المطبعة العمومية المارونية، بيروت،1898.

II. الرسائل الجامعية:

1. اسماعيل غراب عبد الفتاح: العمل التنصيري في العالم العربي رصد لأهم مراحله التاريخية والمعاصرة، رسالة ماجستير، مكتبة البدر، د س.

2. آل حميد سعيد:أثر المستشرقين على أبناء المسلمين،رسالة ماجستير ،قسم الثقافة الإسلامية،جامعة الملك سعود،دس.

3. بن أحمد البداح عبد العزيز: المدارس الأجنبية في الخليج العربي، رسالة ماجستير، قسم الأديان والمذاهب، جامعة الأزهر، د س.

4. بن خاطر عبد الرحمن البركي هاشم: الدور التغريبي لبطرس البستاني في دائرة المعارف العربية، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والثقافة، جامعة أم القرى،2010.

5. بن محمد بن عبد الرحمن الشهري عبد الرحمن: التبشير في بلاد الشام لبنان . سوريا- فلسطين- الأردن، رسالة ماجستير، قسم الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود، د س.

6. عاطف محمد الخضري أمل: التنصير في فلسطين في العصر الحديث، رسالة ماجستير، قسم العقيدة الإسلامية، الجامعة الإسلامية، 2004.

7. محمد عوض عبد العزيز: الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة عين شمس، د س.

8. مصطفى النيجيري خضر: التبشير والاستعمار في نيجيريا، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا الشرعية، جامعة الملك عبد العزيز،1979.

III. المجـــــــلات:

1. قميحة جابر:آثار التبشير والإستشراق على الشباب المسلم، مجلة دعوة الحق، العدد116 ،1991.

2. محمد الحقيل إبراهيم: التنصير لم يكن غائبا، مجلة البيان، العدد153، د س.

IV. الموسـوعات:

1. عبد الرحمن عبد الرحيم: موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، ج1، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة،2008 .

2. السر جاني راغب: الموسوعة المبسرة في التاريخ الإسلامي،ج2، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة،2005.

V. المواقع الإلكترونية:

1. جابان الكردي: صفحات من التنصير في كردستان العراق، الموقع الإلكتروني: http://www.saaid.net/manahij/24.htm.

2. عبد الجبار مهمين:التعليم الأجنبي...مخاطر لا تنتهي، موقع جامعة القديس يوسف.http://www .usj.u9du.lb/arabe/files/history.htm

3. مصطفى رجب: أهداف الجامعة الأمريكية بالقاهرة، http://datadaltarjama.com/dt/block.php .

الفهرس:

شكر وتقدير.

إهداء.

المقدمة.....7-11

مدخل: لمحة عامة عن الأوضاع الثقافية والدينية في بلاد المشرق العربي خلال القرن 19م.....13-20

الفصل الأول: الحركة التبشيرية في بلاد المشرق العربي وعوامل انتشارها 22-31

المبحث الأول: تعريف التبشير..... 22-24

المبحث الثاني: الجذور التاريخية للتبشير في بلاد المشرق العربي..... 25- 27

المبحث الثالث: العوامل المساعدة على انتشار التبشير في بلاد المشرق العربي..... 27-31

الفصل الثاني: نبذة عامة عن المدارس التبشيرية في بلاد المشرق العربي..... 33-53

المبحث الأول: تعريف المدارس التبشيرية وجذورها التاريخية..... 33-37

المبحث الثاني: نظامها العام..... 37-46

المبحث الثالث: أهدافها ومن يقف وراءها..... 46-53

الفصل الثالث: موقف الدولة العثمانية من المدارس التبشيرية وآثارها..... 55-72

المبحث الأول: موقف الدولة العثمانية من المدارس التبشيرية..... 55-58

المبحث الثاني: نماذج من المدارس التبشيرية في المشرق العربي..... 58- 64

المبحث الثالث: آثار المدارس التبشيرية في المشرق العربي..... 65- 72

الخاتمة.....74-76

الملاحق.....78-80

قائمة المراجع.....82-89

الفهرس 90-91